الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية و آدابها

شعبة:الأدب المغربي القديم

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

القيم الجمالية في أدب الفترة الصنهاجية

من إعداد الطالبة :

بن جبار لطيفة

إشراف الأستاذ الدكتور:

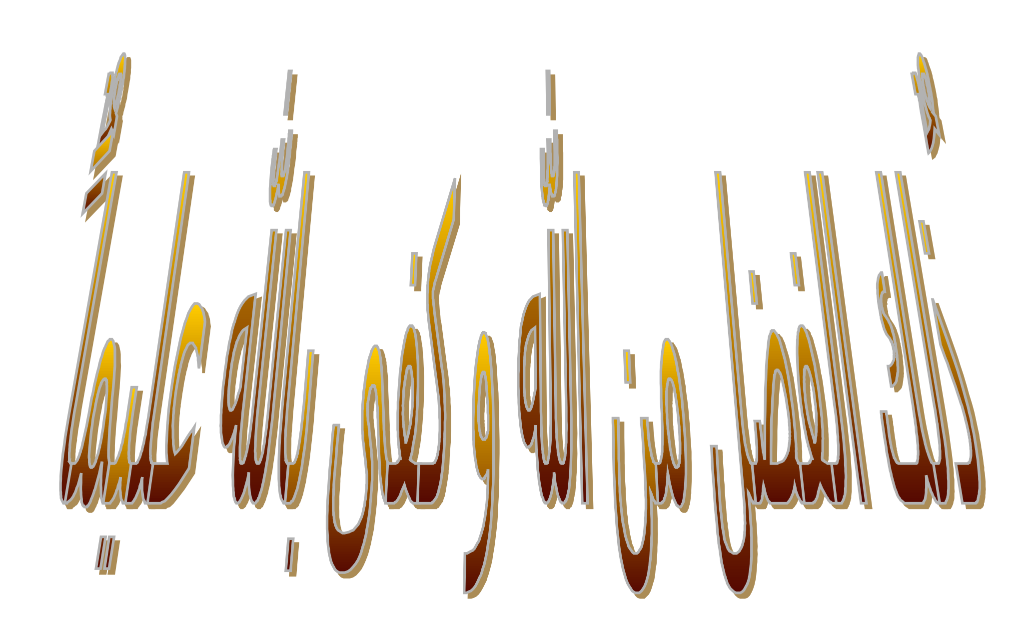
أ.د محمد طول

أعضاء اللجنة المناقشة

-أ. د محمـــد مرتاض	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
-أ.د محمـــد طـــول	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
-د. محمد محي الدين	أستاذ محاضـــر	جامعة تلمسان	عضوا
– د.حسين فارســـي	أستاذ محاضـــر	جامعة تلمسان	عضوا
-د. محمد بـــاقـــي	أستاذ محاضـــر	جامعة سيدي بلعباس	عضوا

السنة الجامعية :2010 – 2011م / 1431 - 1432هـ

بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

عد المهتمون بالأدب المغربي القديم البحث في هذا الأدب الإقليمي من قبيل المغامرة، لاسيما ،في القرون الأولى بعد الفتح الإسلامي ، وذلك لما يعتريه من غموض وما يواجهه الدارس فيه من قلة مظانه ، فكنت أينما وليت وجهي شطر بحث ما تناول الأدب المغربي القديم موضوعا للدراسة ،إلا وألفيت شكوى صاحبه في مقدمة بحثه عن صعوبة حصوله على المصادر أو قلتها ، مما أوجس في نفسي خيفة،و جعلني أتردد في اختيار موضوع بحث شحيح المادة ،باعتبار أن المادة الإبداعية تعد اللبنة الأساس في أي موضوع بحث،و لكنني عزمت في الأخير على تجاوز هذا العائق بعدما استشرت ذوي

الخبرة و أهل المعرفة ،فاستقر رأيي على موضوع بحث ارتاحت له نفسي ، لما توفر عليه من مظان تضمن لي الولوج في أغواره و التمكن من حيثياته ، فكان بعون الله أن عنونته بـــ:

"القيم الجمالية في أدب الفترة الصنهاجية"

و لعل – أيضا – تعدد التناول يثير تساؤلات عدة قبل الإقبال أو الإحجام ، من أهمها:

- أين يكمن سر هذا التناول المكثف للموضوع نفسه؟
- فهل يكمن في احتلال أدب الفترة المدروسة مكانة مميزة، جعله حقلا بحثيا مغريا لكل باحث اطلع عليه ؟

أم كان توافر المادة فيه هو الذي جلب انتباه الباحثين إليه كالذي حدث معي؟

أم باعتباره الأدب المغربي البربري الأول ذا اللسان العربي الذي ظهر على الساحة المغربية هو ما أسال أقلام الدارسين حوله؟

و إن كان ذلك صحيحا فما هي العوامل التي ساعدته على هذا الانتشار الواسع بين باقي ما عرف من آداب مغربية قديمة أخرى

– و ما هي أهم المياسم و المقومات الفنية التي ميزته عن باقي ما ظهر قبله وبعده من أدب مغربي؟.

هذا ما حفزني على الاقتراب من هذا الموضوع لعلي استجلي بعض ما يمكن أن يجيب عن هذه التساؤلات .

واقترحت تصوراً لمشروع إجابة تتدرج خطواته نحو أفق الانتظار على النحو التالي :

<u>المدخل :</u> وضعت له عنواناً (**الفترة الصنهاجية و مجالاتها**)، ووقفت فيه عند الفترة المدروسة للاطلاع على ما اعتراها من أحداث تاريخية انطلاقا من معطياتها السياسية ، الاجتماعية و الثقافية .

<u>– الفصل الأول</u> : وعنونته بـــ: (**الفنون النثرية في الفترة الصنهاجية و أنواعها**)،وتناولت فيه أهم الفنون النثرية و أكثرها تداولا آنذاك (الخطابة ، الرسائل ، المناظرات ، المقامات ، الوصايا ، الأمثال و الحكم) .

<u>– الفصل الثاني</u> : وسمته بـــ: (**الأغراض الشعرية في الفترة الصنهاجية**)،ووقفت فيه عند أهم الأغراض الشعرية و أكثرها تداولا آنذاك (الغزل ، المدح ، الرثاء ، الوصف ، الهجاء ، الفخر ، العتاب و الشكوى ، الشوق و الحنين) .

– **الفصل الثالث** : سميته : (**قراءة في جمالية التشكيل الفني للأدب الصنهاجي**)، وخصصته لتجلية القيم الجمالية لأدب الفترة ، نثرا و شعرا ، و الوقوف على أهم ما ميزها من قيم مكنتها من هذه المرتبة التي احتلتها بين سائر آداب المغرب العربي القديم ، (اللغة الشعرية ، الإيقاع ، الصورة الفنية ، التناصات و الحوارات).

– تقدمت هذه الفصول مقدمة و تأخرها خاتمة ، تضمنت أهم نتائج البحث .

- أما بالنسبة للمنهج المتبع لتناول هذا البحث، فقد توخيت فيه التنويع حتى تتلاءم مع أهداف البحث وخصوصيته، و قد كان الدافع للاستعانة بأكثر من منهج استكمال جوانب البحث المختلفة و حتى يتكامل البحث فيها ، وقد تمثلت هذه المناهج المختارة في :

- المنهج التاريخي: و المقام على أساس تتبع أدب الفترة الصنهاجية تتبعا تاريخيا و الربط بين حركة هذا الأدب وتطوره وبين بيئته)السياسية و الاجتماعية و الثقافية)، وهذا تحديدا ما جاء في (مدخل البحث المطروق).

- المنهج الوصفي التحليلي: حيث مكنني من الوقوف على الجانب الإبداعي و الفني لهذا الأدب، وما يقتضيه هذا الأدب من النظر في البناء العام للعمل الأدبي، في لغته و صورته الأدبية ، الموسيقية ، البيانية و البديعية ، وأتاح لي آليات وأدوات إجرائية للوقوف على القيم الجمالية في العمل الأدبي لهذه الفترة في هذا الإقليم الجغرافي ، بغية وضعه في مكانه بين الأعمال الأدبية الأخرى في الأقاليم الأخرى من منظومة التراث العربي ، و كذا محاولة معرفة القيم الجمالية التي تميزه ، أو يشترك فيها مع غيره من الأعمال الأدبية العربية الأخرى التي سبقته أو تعاصره .

– أما عن أهم ما سبق هذا البحث من دراسات تكاد تكون مماثلة له ، فقد كانت عديدة أهمها: **الأدب في عصر دولة بني حماد لمحمد أبو رزاق و تاريخ الأدب الجزائري لمحمد طمار و المغرب العربي لرابح بونار** ، أما من البحوث الأكاديمية و التي جاء موضوع بحثي على منوالها ، نجد: **النهضة الأدبية في المغرب العربي من 296هـ – 447هـ لنوال إبراهيم والحركة الأدبية في الجزائر من القرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن الخامس الهجري لشميسة بلمداح** ، فالأعمال السالفة الذكر ، و إن كانت لم تأت على الصورة نفسها للبحث المدروس ، إلا أنها التقت جميعها في النقطة نفسها و هي تناولها تقريبا للأعمال الأدبية ذاتها للفترة المدروسة، معتمدة في كل ما سبق ذكره على قائمة من المظان تنوعت بين مصدريتـــــها و مرجعيتها على حسب ما كانت تقتضيه مناسبة كل عنصر تطرق إليه في البحث ، أهمها : فمن المصادر نجد : **الاستقصا لأبي العباس السلاوي ، الإحاطة للسان الدين بن الخطيب،**

الأنموذج لابن رشيق القيرواني ، **البيان المغرب لابن عذارى المراكشي، انباه الرواة للقفطي** ، **وفيات الأعيان لابن خلكان** ، و غيرها من المصادر والتي يتعذر علينا ذكرها جميعها في هذا المقام ، أما عن المراجع ، فمن بينها: **تاريخ الأدب الجزائري لمحمد طمار** ، **تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي** ، **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث لمبارك الميلي** ، **الأسس الجمالية في النقد لعز الدين إسماعيل** ، و غيرها من المراجع .

و قبل ختامي لا أنسى شكر كل من ساهم في إتمام هذا العمل على ما انتهى إليه، و على وجه الخصوص شيخي الأستاذ المشرف و الذي لم يدخر أدنى جهد في إرشادي للطريق الصحيح.

و ختاما لما سبق ذكره ، فإنه ما نالني من تعب مضن و جهد جهيد دام أشهر لإتمام البحث على الصورة التي هو عليها الآن ، دعوت به الله تعالى أن يأجرني فيه، و أن يبدي المخض عن الزبد و يحقق الغاية التي رجوتها منذ بداية هذا البحث ، بغض النظر عما اعتراه من نقص أو سقطات ، و أن يكون كالغيث أينما وقع نفع و لله يوكل الأمر كله .

تلمسان : 12 – 05 – 2010.

لطيفة بن جبار .

المدخل :

الفترة الصنهاجية و مجالاتها

١- المجال السياسي .

٢- المجال الديني و الاجتماعي .

٣- المجال الحضاري و التقافي

تمهيد :

اتفق الدارسون على أن البربر قسمان ، و هذا ما قاله صاحب الإستقصا: " وقيــــل أن الــــبربر صنفان البرانس و البتر "[1] ، و هو نفسه ما ذهب إليه موسى لقبال ، وعن ذلك قال:"و ظهر العــــرب المسلمون لأول مرة بتقسيم اجتماعي فريد ، لسكان بلاد المغرب ، لم يكن معروفا قبلهم ، ذلك هـــو تقسيمهم إلى مجموعتين كبيرتين تسمى أحدهما مجموعة البرانس أو حلف البرانس ، و تسمى الأخــــرى مجموعة البتر أو حلف البتر"[2] وعليه فالبربر بتر وبرانس ، كما أجمع الباحثون على أن صنهاجة قبيلـــة بربرية برنسية الإنتماء ، أما عن نسبها ، فقد ذهب جل الباحثين إلى القول عن نســـبها الحميري العربي ،قدامى منهم حيث قال القزويني:" صنهاجة قوم بالمغرب من ولد صنهاجة الحميري"[3] وكذا صـــاحب الحلل السندسية حين قال: " بلكين بن مناد الحميري الصنهاجي"[4]. ومحدثون ،ومن ذلك ما جــاء بـــه بشير خلدون حين قال : "إنه ما كان ليقع هذا التفاهم و التمازج بسهولة لو لم تتشارك هذه القبائل في خصائص وصفات غريزية ، و يجمع بينهما مصير واحد و نزعة واحدة "[5] إشارة منه إلى ذلك التزاوج السريع و الطبيعي الذي حصل بين البربر و العرب الفاتحين منذ الوهلة الأولى لدخولهم بلاد المغرب.

١-المـــجال السياســـي:

عرف التاريخ المغربي ، ظهور أكثر من مملكة في قبيلة صنهاجة كان أولها :

أ- الدولة الزيرية :

و ذلك بشمال بلاد المغرب و تحديدا في جهته الشرقية ، و تعود جذور هذا الملك إلى بني مناد، حيث يقول أحد الدارسين : " يكون بنو مناد بن صنهاج الأصغر ، من أهم ممثلي افريقية في أواخر القرن الثالث

---

[1] 1 : الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، أبو العباس السلاوي ، ت – محمد عثمان ، مج 1 ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1428هـ - 2007م ، ص 57 .

[2] : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، موسى لقبال ، سلسلة الدراسات الكبرى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، ص 58.

[3] : أسماء القبائل و أنسابها ، معز الدين القزويني ، ت –كامل الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط 1، 1420ه – 2000م ، ص 162.

[4] : الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، الوزير السراج ، ت – الحبيب الهيلة ، ج 1 ، القسم 4 ، الدار التونسية للنشر و التوزيع ، 1970م ، ص 940.

[5] : الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسلي، بشير خلدون، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ص 16 .

الهجري ، و أوائل الرابع "[6] ، و قد عدت هذه الدولة الأصل الذي تفرع منه باقي الدول ذات الجذور الصنهاجية ، فيما بعد . و قد نسبوا لمناد هذا باعتباره ذا سلطة روحية عليهم ، فهو مناد بن منقوش ، والد زيري زعيمهم ، و قد كان كثير المال و الولد،كريما حسن الضيافة ، و قد سكن جبل تيطري و تصرف في جانب افريقية و المغرب الأوسط ، مقيما بها الدعوة العباسية[7] و لكن على الرغم مما بلغه مناد من مكانة لدى نفوس الصنهاجيين،فإن قبيلتهم عرفت أكثر و برزت في عهد زيري ، و في هذا الشأن قيل : " و لا تبد الشهرة لصنهاجة ، إلا على أيام زيري بن مناد الذي جاء مناصرا في حرب أبي يزيد في قومه ، و من انضم إليه من حشود البربر ، و أبلى في ذلك خير البلاء ، كما كان له فضل بناء أشهر مراكز صنهاجة الحضرية "[8] إذ يعود له الفضل في بناء مدينة أشير، أول مركز صنهاجي عسكري،ليثبت لمن حوله أن له حسا عسكريا ، قادر على القيام بالأمور الصعاب بما في ذلك الحكم ، لكن أدركه حمامه ، قبل سنتين فقط من الميلاد الشرعي لهذا الحكم البربري الصنهاجي الجديد ، و كان ذلك عام 360 ه ، بعد ولاية دامت ستا وعشرين سنة [9] ، و عن حادثة وفاته يروي بشيرخلدون ، فيقول :" و دعا إلى نقض طاعة المعز ، والدعاء للحكم المستنصر فوجدهم أقدم إجابة لها ، و ناهضتهم زناتة ، فكبأ بزيري فرسه ، فطاح فقصوا رأسه ، و بعثوا به مع جماعة زناتة إلى الحكم المستنصر "[10] .

و بأفول نجم زيري ، سطع مكانه في سماء صنهاجة نجم نجله بلكين ، والذي كان رجل عسكر من الدرجة الأولى ، و دليل ذلك ما ألحقه من هزائم في صفوف الزناتيين ، انتقاما منه لدم أبيه ، حين حاربها عام 361 ه ، فأجلاها من الزاب وفي عام 363 ه ، أجلاها عن المغرب الأوسط ، و عاد من تلمسان ، فتفرقت بذلك زناتة في المغرب الأقصى ، تلوله وصحرائه[11] ، وبمقابل ما ألحقه من أضرار في صفوف الزناتيين ، ألد أعداء الفاطميين ، ولي بلكين من لدن المعز لدين الله الفاطمي على الأعمال الثلاثة : أشير – المسيلة و تاهرت .[12]

---

[6] : تاريخ المغرب العربي ، سعد زغلول عبد الحميد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د . ط ، د . ت ، ص 292.

[7] : ينظر ، الأدب في عصر دولة بني حماد ، محمد أبو رزاق ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، د . ط ، د . ت ، ص 55.

[8] : تاريخ المغرب العربي ، سعد زغلول عبد الحميد ، ج 3 ، ص 292.

[9] : ينظر ، الأدب في عصر دولة بني حماد ، محمد أبو رزاق ، ص 56.

[10] : العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر، عبد الرحمن بن خلدون ، مج 4 ، القسم 1 ، ج 7، د .ط ، د . ت ، ص 177.

[11] : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، مبارك الميلي ، ج 2 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، د . ط ، د . ت ، ص 127.

[12] : المرجع نفسه ، ص 132.

* الرحيل الفاطمي و النيابة الزيرية الصنهاجية :

و لما استقام للعبيديين العرش بمصر ، بعد فتحهم إياها ، عقدوا العزم على الرحيل ، تاركين وراءهم الحكم المغربي لبلكين الصنهاجي ، بعد توليته إياه ، وقد كانت هذه التولية : يوم الأربعاء 22 ذي الحجة 361 هـ - تشرين الأول 972م [13]،ليتم بذلك التوقيع على أول حكم بربري خالص، أخذ زمام تسيير أموره لوحده ، وعن ذلك قال رابح بونار :" وبتولي هذا الأمير الصنهاجي حكم افريقية، انتقلت السلطة رسميا من العنصر العربي إلى العنصر البربري "[14] ، وبعد انتهاء الفترة البلكينية التي حكمها يوسف بن زيري ، تولى القيادة بعده خمسة أمراء بصفة متوالية وهم:

1 - المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد:

و الذي بويع بعد وفاة أبيه عام 373 هـ ، بالإمارة في مسجد القيروان[15] .

أهم ما ميز فترة حكمه :

- انتهاجه لسياسة خاصة به ، و ذلك حين قال : " إن أبـــي و جدي كانا يأخذان الناس بالقهر ، و أنا لا آخذ أحدا إلا بالإحسان ، و لا أشكر على هذا الملك ، إلا الله تعالى ولست ممن يولي بكتاب و يعزل "[16]، مما يعكس قوله هذا بداية الرغبة الزيرية في عدم التبعية الفاطمية .

- نشوب حربين كتاميتين ضده الأولى كانت بداياتها بإرسال العبيديين عام(376 هـ - 986م) ، داعيا فارسيا من خراسان يدعى أبا الفهم و استقراره بالحلف الكتامي إثارة منه للمشاكل ، و الثانية كانت عام(379 هـ - 989م) ، تزعمها داع اسماعيلي جديد عرف بأبي الفرج[17]، و قد توفي المنصور سنة ست و ثلاثمائة ، و دفن في قصره بالبصرة (389هـ)[18].

2-باديس بن المنصور :

[13] : ينظر تاريخ الأدب الجزائري ، محمد طمار ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 113.

[14] : المغرب العربي، رابح بو نار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر ، د . ط ، 1968م،ص 188-189.

[15] : المرجع السابق ، ص 190 .

[16] : تاريخ الجزائر القديم و الحديث ، مبارك الميلي ، ج 2 ، ص 135 .

[17] : ينظر ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، موسى لقبال ، ص 592 .

[18] : ينظر الاستقصا ، أبو العباس السلاوي ، مج 1 ، ص 938 .

ليبايع هو الآخر فور وفاة أبيه المنصور من عام 386 ه، و الذي كان بوسعه قطع الولاء الفاطمي ، باعتبار ما صدر من الجانب العبيدي ضد الزيريين من أمور داعية لذلك ، إلا أنه آثر الحفاظ على استقرار منطقته ، و هذا ما عد ترسيما لخطأ أسلافه في إعلانه للولاء الفاطمي [19] ، خاصة بعد ذلك السجل الذي بعث إليه من البلاط الفاطمي و الذي تضمن :

* تلقيب أبي مناد باديس بن منصور بنصير الدولة .

*ولاية الحاكم بعد وفاة العزيز بالله و تعزيته لوفاة أبي الفتح المنصور .

*الطلب الفاطمي في تجديد الولاية للحاكم ، و أخذ البيعة له من زعماء صنهاجة[20]

– أهم ما ميز فترة حكمه :

الانشقاقيين الذين طالا هذا الحكم البربري الصنهاجي ، تمثل الأول في : ★عصيان ماكسن وزاوي له ، و الذي كانت نتيجته فيما بعد تكوين ملك خاص بهم بغرناطة .

والثاني : ★رغبة عمه حماد هو الآخر تكوين حكم خاص به ، و ذلك بعد إنشاءه لمدينة القلعة عام 398 ه – 1007م [21]، توطيدا لهذا الملك المنشود ، و ما كان من باديس بعد علمه بما فعله حماد إلا أن راسل عمه ، حيث يقول صاحب الحلل السندسية : " فعندما علم باديس بذلك كاتبه ، ليرفع يده عما صار بين يديه عام 405 ه، لكن حماد أبى"[22]. فقوبل هذا الإيباء بحرب شنها باديس ضد عمه ، كانت نهايتها لصالح حماد ، وذلك بوفاة باديس المفاجئة،وذلك سنة ست وأربعمائة (406 ه) ، ودفن بالمهدية[23].

3 – المعز بن باديس :

و بوفاة باديس جاءت مبايعة ابنه المعز ، و لقب بشرف الدولة ، على الرغم من حداثة سنه، و قد استمرت الحرب بين المعز و حماد حتى عام 408 ه ، ليجنحا إلى السلم في آخر المطاف، بطلب من حماد فقبل ذلك المعز و صلحت الأحوال بينهما بعد اشتعال الحرب بينهما لمدة عامين [24] .

– أهم ما ميز فترة حكمه :

---

[19] : ينظر ، المغرب العربي ، رابح بونار ، ص 190 .

[20] : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، موسى لقبال ، ص 593و 594 .

[21] : ينظر ، الأدب في عصر دولة بني حماد ، محمد أبو رزاق ، ص 18 .

[22] : المغرب العربي ، رابح بونار ، ص 191.

[23] : الحلل السندسية ، الوزير السراج ، ج 1 ، ص 939 .

[24]: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، مبارك الميلي ، ج 2 ، ص 191- 192 .

– إعلانه لقطع الولاء الفاطمي ، هذا الأخير الذي شكل انقلابا جذريا في التاريخ المغربي عامة، و الصنهاجي خاصة ، و هذا ما ذهب إليه صاحب الاستقصا ، حيث يقول :" و لما انساق ملك افريقية إلى المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي،كان له رغبة في مذهب أهل السنة ، خالف فيه أسلافه الذين كانوا على مذهب الشيعة الرافضة ، أما عن العلاقة الزيرية الفاطمية ، فقد ظلت غير مستقرة في فترة حكم المعز، إلى أن أظلم الجو بين المعز بن باديس و بين المستنصر العبيدي ، ووزيره اليازوري ، فقطع ابن باديس الخطبة بهم على منابره سنة ثلاث وأربعين و أربع مائة ، وأحرق بنود المستنصر ومحا اسمه من السكة و الطرز "[25] ، فكان إعلان القطع هذا أبرز ما ميز فترة حكمه ، وقد توفي المعز عام 453 ه ، بعد مرض أصابه ، و قد دامت مدة حكمه سبعا وأربعين سنة ، وكان عمره لما ملك إحدى عشر و قيل ثماني سنين [26] .

<u>4 – تميم بن المعز</u> :

و قد كان مولده بالمنصورية ، منتصف رجب سنة اثنتين و عشرين وأربعمائة (422 ه) وولي على المهدية من عام خمس و أربعمائة (455 ه) ، إلى وفاة أبيه ، حيث انتزح إلى القيروان واستبد بالملك بعد أبيه [27] .

<u>– أهم ما ميز فترة حكمه :</u>

شهدت فترة حكمه مجموعة من الفتوحات أهمها :

– فتحه عام إحدى و تسعين و أربعمائة (491 ه) جزيرة جربة و جزيرة قرقنة .

– و في عام ثلاث و تسعين و أربعمائة (493 ه) فتح تميم مدينة سفاقس[28] ،و قد توفي ليلة السبت من سنة إحدى و خمسمائة (501 ه) ، و قد دفن في قصره ، ثم نقل إلى قصر السيدة بالمنستير [29]

<u>5 – يحي بن تميم :</u>

---

[25]: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، أبو العباس السلاوي ، مج 1 ، ص ص 289.

[26] : ينظر، الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، مج 10 ،دار صادر ، بيروت ، د . ط ، 1399 ه – 1979 م ، ص 15.

3[27]: المصدر نفسه ، ص 16 .

[28] : نفسه ، ص 279 و ص 298.

[29] : ينظر ، الحلل السندسية ، الوزير السراج ، ج 1 ، ص 949.

و يعد خامس أمراء الدولة الزيرية الشرقية ، و قد كانت ولايته بالمهدية لأربع بقين من ذي الحجة ، سنة سبع و خمسين وأربعمائة [30] ،و مما عرف عنه قمعه للثائرين، كما عرف عنه أنه كان حسن السيرة مع رعيته .

-أهم ما ميز فترة حكمه :

- إنشاؤه لأسطول بحري قوي غزا به بلاد الروم [31]

-غزوه لساحل أوربا عدة غزوات حتى لقبه النصارى " الجريء " وسالموه [32] ، و قد توفي يحيى بن تميم يوم عيد الأضحى من عام تسع و خمسمائة [33].

6 – علي بن يحيى :

و هو الآخر من أمراء الدولة الزيرية ، و على يده شهدت بداية نهايتها ، و قد بويع سنة وفاة أبيه ، أي عام 509 هـ .

- أهم ما ميز فترة حكمه :

- حصاره عام 510 هـ مدينة تونس ، و بها أحمد بن خرسان .

- و في السنة نفسها فتح جبل وسلات بافريقية ، و استولى عليه ، و هو جبل منيع [34] ، وقد عاجلته المنية عام 515 هـ [35]

7 – الحسن بن علي :

و بوفاة علي ولي بعده نجله الحسن ، و الذي يعد خاتمة الملك الصنهاجي بتونس ، و لم تدم فترة حكمه طويلا ، فسرعان ما كانت نهاية ملكه على يد النرمان ، بعدما هجموا عليه عام 517 هـ ، فهزموا ، ثم عاودوا الكرة و تمكنوا من احتلال تونس عام 543 هـ ، ليترل الحسن تحت رعاية ابن عمه يحيى صاحب بجاية ، إلى أن ملكهم عبد المؤمن ممهد الدولة الموحدية [36]

---

[30] : ينظر ، الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، مج 10 ، ص 449 – 450.

[31] : ينظر ، المغرب العربي ، رابح بونار ، ص 203 .

[32] : ينظر ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، مبارك الميلي ، ج 2 ، 193 .

[33] : ينظر ، الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، مج 10 ، ص 512.

[34] : المصدر نفسه ، ص 522.

[35] : ينظر ، المغرب العربي ، رابح بونار ، ص 204.

[36] : المرجع نفسه، ص نفسها .

ب -الدولة الزيرية بغرناطة :

كان سبب نشوء هذا الملك الصنهاجي الغرناطي ، خروج ماكسن و زاوي عام 390هـ، عن طاعة باديس ، وهما ابنا زيري ، و هذا ما ذهب إليه عبد الرحمن الجيلالي، حيـــــث يقول: " عصيان ماكسن و زاوي ، و هما أخوان من أبناء زيري بن مناد الصنهاجي، حاولا الخروج عن طاعة باديس و أظهرا الخلاف والمعصية في جملة أعمامه، الذين لم يتح لهم التمتع بالحكم و الرئاسة ، فعقد باديس لعمه الداهية حماد على إخضاعهم سنة 390هـ- 1000م ، فقتل ماكسن و انحصر أخوه زاوي بجبل شنوة بناحية شرشال مستأمنا فيمن كان معه من الأتباع ، فاشترط عليهم حماد ، الجلاء من بلاد الجزائر ، فخرج زاوي يومئذ في فئته و أبناء أخيه إلى الأندلس سنة (391 هـ - 1001م) ، ملتحقا بالمنصور بن أبي عامر ، فأكرم المنصور وفادهم ، ثم كان لهم بعد ذلك شأن وملك هناك" [37] ، وهكذا تم لبني زيري الانتقال من بلاد المغرب إلى الأندلس ، باحثين عن الاستقرار وفرصة أخرى لتكوين ملك لهم يعوضهم عما راموا إليه ببلاد المغرب ، و كانت بدايات هذه الفرصة بانضمام زاوي بن زيري و كذا حبوس بن ماكسن ابن أخيه إلى جيش المنصور بن أبي عامر [38] ، و مع مرور الزمن تم لبني زيري تكوين ملك بغرناطة ، و قد توالى على عرش الملك ، عدد من الأمراء الصنهاجيين ، هم :

1 – زاوي بن زيري :

بقي بغرناطة إلى حدود عام 420 هـ ، حيث قرر الرجوع لبلاد المغرب ، تاركا وراءه ابنه لكنه و بوصوله للمغرب سرعان ما وافته المنية ، حيث قتل هناك بسم دس له بعد فترة يسيرة من وصوله [39].

2 – حبوس بن زاوي :

و برحيل زاوي إلى سلطان قومه بالقيروان ، استخلف على غرناطة ابنه .[40]

---

[37] : تاريخ الجزائر العام ، عبد الرحمن الجيلالي ، ج 1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 7 ، 1415 هـ- 1994م ، ص 253.

[38]: ينظر ، التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ، عبد الله بن بلكين بن حبوس ، ت – علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، ط 1 ، 1427 هـ - 2006م ،ص 31.

[39] : المصدر *نفسه*، ص 38 – 40 .

[40]: ينظر، العبر ، ابن خلدون ، ج 7 ، ص 346.

3 – باديس بن حبوس :

ولي على العرش بعد انقضاء فترة حكم والده بوفاته[41] ، وكان ذلك سنة 429 ه .

4 – بلكين بن حبوس :

و هو أخ باديس ولي بعد وفاته ، لكنه لم يلبث في الحكم فترة حتى قتله وزيره بالسم عام 467 ه

5 – أبو محمد عبد الله بن بلكين بن حبوس :

و هو حفيد بلكين ، و قد ولي هو على مملكة غرناطة ، و ولي أخوه تميم على مالقة، ويعد محمد عبد الله آخر ملوك غرناطة الصنهاجيين ، وفي ذلك يقول محقق كتاب التبيان : " كان عبد الله بن بلكين بن حبوس بن زيري الملك الثالث و الأخير لمملكة غرناطة التي أسسها فرع منحدر من عائلة بني زيري البربرية الصنهاجية ، و ذلك بعد سقوط الخلافة الأموية بقرطبة ، ولد سنة 447 ه – 1056م ، و عين عند وفاة أبيه بلكين سيف الدولة في عام 456 ه – 1064م ، كولي عهد جده الأمير باديس بن حبوس "[42] ، و قد بقي على عرش المملكة إلى أن خلعه المرابطون سنة 483 ه ، هو وأخوه تميم ، و حملا إلى أغمات ووريكة بالمغرب الأقصى أين قضيا فيها باقي أيام حياتهما .

جـ - الدولة الحمادية :

و قد تم إعلان عن قيام ثالث ملك لبني صنهاجة ، بعد توقيع المعز بن باديس الصلح مع عمه حماد عام 408 ه ، لتنقسم بذلك الدولة الزيرية إلى شرقية . عاصمتها المنصورية ثم المهدية، و غربية عاصمتها القلعة، فبجاية [43] ، و قد سميت بالحمادية نسبة لمؤسسها حماد، وهي تمتد غربا إلى فاس وبهذه الناحية إمارة بن يعلى بتلمسان ، و نواحي وهران وحكومة بني زيري بن عطية بفاس[44] ، ومن ملوك الدولة الحمادية :

1 – حماد بن بلكين :

---

[41]: المصدر نفسه ، ص نفسها .

[42]: التبيان ، عبد الله بن بلكين ، ص 09.

[43] : ينظر ، المغرب العربي، تاريخه وثقافته ، رابح بو نار :ص 134.

[44] : المرجع نفسه ، ص 192.

و هو مؤسسها ، و قد أعلن استقلاله عن القيروان عام 405 ه ،
واصطلح مع المعز عام 408 ه .[45]

– أهم ما ميز فترة حكمه :

– عدم دعوته للخلافة العباسية ، و بقاءه مع الدعوة العبيدية على خلاف ما حدث في القيروان مع المعز والانقلاب الذي حدث آنذاك .

– توسيع نطاق ملكه ، فأصبحت تمتد إلى ما وراء تلمسان و شرقا إلى تونس وجنوبا إلى الزاب [46].

و قد كانت وفاته عام 417 ه، بعد خروجه من قلعته متنزها، فمرض فمات، فحمل إلى قلعته ليدفن فيها[47] ، و قيل سنة 419 ه[48]

2 – القائد بن حماد :

و قد خلف والده ، بعد وفاته في الحكم ، و استمر على ما كانت عليه سيرة أبيه ، حتى سنة 432 ه ، حيث زحف إليه المعز و حاصره بالقلعة و حاصر أشير أيضا ، ثم اصطلحا[49].

– أهم ما ميز فترة حكمه :

– حفاظه هو الآخر، على تبعيته للخلافة العبيدية ، و عدم قطعه لها .

– الهجوم الزناتي له على يد : حمامة بن زيري المغراوي ، و فشله في التصدي لها .

– الهجوم الأعرابي على بلده. و قد توفي في ذي القعدة من عام 446 ه .

3 – محسن بن القائد :

و قد ولي بعد وفاة أبيه ، لكن مدة ولايته لم تدم طويلا ، فقد مكث في الحكم ثمانية أشهر وثلاثة و عشرين يوما[50] ، و قد كانت نهايته السريعة هذه سببها مخالفته لوصية أبيه ، وخروجه لمحاربة عمه يوسف بن حماد ، فكانت خاتمته على يد أمير من أمراء بني هلال [51] ، وقد قتل من لدن بلكين بعد ستة أشهر من ولايته عام 447 ه .

---

[45]: ينظر ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، مبارك الميلي ، ج 2 ، ص 196 .

[46] : ينظر ، تاريخ الأدب الجزائري ، محمد طمار ، ص 113.

[47] : ينظر، الأدب في عصر دولة بني حماد ، محمد أبو رزاق ، ص 73.

[48] : ينظر ، المغرب العربي ، رابح بونار ، ص 208.

[49]: ينظر ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، مبارك الميلي ، ج 2 ، ص 197.

[50]: المرجع نفسه ، ص نفسها.

[51]: ينظر ، المغرب العربي ، رابح بونار ، ص 209.

4 – بلكين بن محمد بن حماد : و قد اعتلى عرش الحكم ، بعد اغتياله لابن عمه محسن ، لكن عرفت الدولة الحمادية في عهده نصيبا من القوة و التماسك .

– أهم ما ميز فترة حكمه :

– هجومه على فاس عام 454 هـ، و قتاله للمرابطين و تشريدهم عنها إلى الصحراء و قد قتل بتسالة من تراب المغرب الأقصى عام 454 هـ ، بعدما تآمر عليه الناصر بن علناس مع طائفة من الصنهاجيين [52] .

5 – الناصر بن علناس :

و بتخلص الناصر من بلكين ، اعتلى هو العرش الحمادي ، في السنة نفسها .(454 هـ).

–أهم ما ميز فترة حكمه :

– بلوغ ملك الحماديين إلى وركلان (ورقلة)[53]

– تأسيسه عام 470 هـ – 1067م ، مدينة إلى جانب ما تم تشييده في عهد حماد (القلعة)، بمقربة من الميناء الفينيقي (صلداي) و سماها : الناصرية [54] ، و بعد تشييده لها ، انتقل إليها .

– وقوع حروب بينه و بين ابن عمه تميم بن المعز، ثم اصطلحا عام 461 هـ [55] ، و قد أدركه حمامه بظاهر بجاية يوم الجمعة 7 جمادى الأولى عام 481 هـ[56].

6 – المنصور بن الناصر :

و الذي أكمل عمل أبيه في تمصير الدولة والمحافظة على سلامتها ، بعد انتقاله إلى بجاية عام 483 هـ [57].

– أهم ما ميز فترة حكمه:

– شهدت فترته سك المسكوكات ، وعن ذلك قيل :"النقود لم تكن مسكوكة باسم هذه الدولة إلا في عصر المنصور بن علناس "[58] .

– مصالحته للمرابطين و مصاهرته لهم.

---

[52]:ينظر ، المرجع نفسه ، ص 210.

[53]: المرجع السابق ، ص 209.

[54]: ينظر ، الأدب في عصر دولة بني حماد ، محمد أبو رزاق ، ص 114.

[55]: ينظر ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، مبارك الميلي ، ج 2 ، ص 199.

[56]: المغرب العربي ، رابح بونار ، ص 212.

[57]: ينظر ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، مبارك الميلي ، ج 2 ، ص 199.

[58]: تاريخ الأدب الجزائري ، محمد طمار ، ص 115.

- ثورة عمه بلباز عليه ، و كذا ثورة أبو يكفي بن محسن عام 487 هـ ، وقد عاش عظيما في سلطانه إلى أن توفي سنة 498 هـ[59]

7 – باديس بن المنصور :

كان ذا سطوة شديدة ، لكن لم تدم مدة حكمه طويلا ، إذ توفي في 13 ذي القعدة 498هـ[60].

8 – العزيز بالله بن المنصور :

و قد بويع بالملك بجيجل آخر سنة 498 هـ – 1105م.

– أهم ما ميز فترة حكمه :

- طالت مدة ولايته، فنالت الدولة على عهده أمنا و رقيا و علما.
- بلوغ دولة بني حماد مترلة راقية في العلم و الحضارة .
- شهدت الدولة أواخر سنوات ملكه الهجوم الأعرابي عليها ، كما عرفت وصول المهدي بن تومرت إلى بجاية قافلا من المشرق عام 512 هـ ، و قد دام العزيز في حكمه إلى أن توفي عام 515 هـ[61].

9 – يحي بن العزيز بالله:

و هو آخر ملوك بني حماد .

– أهم ما ميز فترة حكمه :

- فتحه لتونس و توليته لعمه كرامت عليها .
- خروجه سنة 543هـ إلى القلعة لافتقادها ، فاستولى النرمان على المهدية [62]
- محاولته لفتح المهدية ، لكنه أخفق لحصانتها ، لكن في عام 547 هـ، استولى الموحدون على بجاية ، و نقلوا يحي إلى مراكش ، و توفي بسلا عام 558 هـ .

د – الدولة المرابطية :

و هي رابع و آخر ملك صنهاجي عرفه التاريخ المغربي القديم ، و قد عرفوا بانتمائهم اللمتوني المنحدر من الأصل الصنهاجي الجنوبي ، و قد كانت بدايات ذكر أخبارهم من المغرب الأقصى ، بعد نزوحهم من الصحراء أين كانت مستقرا لهم بادئ الأمر ، و أما عن بدايات حياتهم السياسية ، يقول صاحب

[59]: ينظر ، المغرب العربي ، رابح بونار ، ص 213.

[60]: المرجع السابق ،ص نفسها.

[61]: نفسه ،ص نفسها.

[62]: ينظر ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، مبارك الميلي ، ج 2 ، ص 201.

الاستقصا :" و صار ملكهم طوائف ورياستهم شيعا ، واستمروا على ذلك مائة و عشرين سنة ، إلى أن قام فيهم الأمير عبد الله بن محمد بن تيفاوت المعروف بتاسرت اللمتوني ، فاجتمعوا عليه و أحبوه و بايعوه ، و كان من أهل الفضل والدين و الجهاد و الحج ، فلبث فيهم ثلاث سنين ، ثم استشهد ... و لما توفي عبد الله بن تيفاوت،قام بأمر صنهاجة من بعده يحيى بن إبراهيم الدكالي[63] .

فطيلة المدة التي كانت بين الأمير عبد الله و يحيى بن إبراهيم ، لم يكن لصنهاجة الجنوب شأو كبير ، من حيث التأسيس الحكمي و التأثير الخارجي ، و ظل حال صنهاجة على ما هو عليه،إلى أن قام يحيى بن ابراهيم بجلب الفقيه المصمودي : عبد الله بن ياسين قصد تعليم قومه، ليبدأ بذلك كتابة صفحة جديدة في تاريخ صنهاجة الجنوب ، حيث نجح هذا الفقيه المصمودي في تجميع ألف رجل من أشراف صنهاجة ، و لازموا رابطته ، فسموا المرابطين[64]، وبعد أن أتم هذا الفقيه ، واجبه التعليمي ، ولى عليـــهم :

<u>1 – يحيى بن عمر اللمتوني</u>[65] :

لتبدأ بذلك صنهاجة الجنوبية ، و بعد فعل التولية هذا ، في أخذ الشكل العسكري ، و بدأ ملكها بالتبلور.

<u>2 – أبو بكر بن عمر اللمتوني</u> :

و بعد وفاة يحيى بن عمر في محرم سنة ثمان وأربعيـــــن وأربعمائة (448 هـ)[66]، ليعين مكانه أخوه أبو بكر ، لتبدأ بعد هذا التعيين فتوحات المرابطين التوسعية انطلاقا من الصحراء جنوبا إلى المناطق التلية شمالا، إلى أن وصل أبو بكر الى أغمات و استقر بها ، ليعود بعد فترة مضطرا إلى الصحراء بسبب اختلال أمورها ، تاركا وراءه زمام أمور أغمات لإبن عمه يوسف .

<u>3– يوسف بن تاشفين</u> :

---

63 : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، أبو العباس السلاوي ، مج 1 ، ص 177.

64: المصدر نفسه، ص 178.

65: نفسه ، ص نفسها .

66: المصدر السابق ، ص نفسها.

و قد تولى الحكم عام 453 هـ[67] ، ليواصل هذا الأخير ما انتهى إليه ابن عمه من فتوحات و توسعات إلى أن تمكن من عبور البحر نحو الأندلس ، و قد عرفت الدولة المرابطية أزهى فتراتها بقيادة يوسف بن تاشفين لما بلغه من شأو عظيم داخل بلاد المغرب و خارجه .

4 –علي بن يوسف :

ليواصل بعد وفاة أبيه عام 465 هـ - 1073م ، ما بدأه من فتوحات و توسعات ،إلى أن توفي عام 500 هـ - 1106م

5 – تاشفين بن علي : و هو آخر ملوك الدولة المرابطية و التي كانت نهايتها عام 537هـ - 1042م. بوفاته ، ليأخذ زمام الأمور بعدهم الموحدون .

***القضية الهلالية :**

و هي باختصار تعني الانتقام الفاطمي من النيابة الصنهاجية المغربية ، لما بدر منها من قطع للولاء العبيدي ، حيث يقول رابح بونار :"لما بلغ الخليفة الفاطمي ما فعله المعز بن باديس وأهل السنة بأنصار من الشيعة الروافض ، و ما تحققه من انحرافه السياسي ، أفزعه ذلك واستشار وزيره اليازوري فأشار عليه ، بترحيل أعراب بني هلال و بني سليم كوسيلة تنكيل،فقبل المشورة و استدعاهم من الصعيد المصري و أعطاهم المال ، ثم أذن لهم بالزحف على افريقية سنة 442 هـ ، وأوصاهم بالاتحاد و ملكهم افريقية"[68].

فتأكيدا لما سبق ذكره ، فهي عملية انتقامية عبيدية ، يازورية التدبير ، شنت ضد النيابة الزيرية بالمغرب ، و تحديدا للمعز بن باديس ، صاحب هذا الإعلان لقطع الولاء عام 442هـ،فكان هذا الزحف الهلالي ، و الذي خلف خرابا ، طال الملكين الزيريين الشرقي والغربي ، وإن لم يكن بالدرجة نفسها ، على الرغم من كل التصديات الزيرية اتجاهه ، لكن وُجد من الدارسين من تحدث عن الجانب الايجابي لهذه القضية ، و من هؤلاء ، محمد طمار:" ثم جاء الهلاليون و سليم و زغبه و رياح بلغتهم القريبة جدا من الفصحى ، فزادت بذلك لغة الضاد انتشارا حتى زاحمت البربرية التي تقلص ظلها على الجبال "[69] ، و هذا نفسه ما ذهب إليه مبارك الميلي ، حيث يقول :" لسان الهلاليين مضري ، حافظوا عليه ببداوتهم في المفردات والتراكيب ووجوه البلاغة وأساليب الخطاب "[70] ، إشارة منه لما يمكن لهؤلاء الهلاليين من

---

[67]: المصدر نفسه، ص 188.

[68]: المغرب العربي ، رابح بونار ،ص 192.

[69]:تاريخ الأدب الجزائري ،محمد طمار ، ص 115 – 116.

[70]: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، مبارك الميلي ، ج 2 ، ص 155.

التأثير في المغاربة ، و عن هذا يقول مصطفى عمر : "أضافت هذه القبائل العربية إلى حضارة شمال افريقية سمات جديدة ، ونتج عن امتزاج العرب و البربر أجيال أقوى شكيمة وأشد مراسا من أجدادهم "[71] ، و لكن على الرغم مما حلّ بهذه النيابة الزيرية المغربية ، شرقها وغربها من عمليات تخريبية و تدميرية ، في منتصف المائة الخامسة ، إلا أنها دامت بعد هذه الحادثة ما يقرب مائة سنة ، وذلك لمهادنتها فيما بعد .

٢- المجال الديني و الاجتماعي :

فمن الناحية الدينية ، عرف بلاد المغرب في تلك الفترة بداية مذهب أبي حنفية ، ثم ظهر مذهب مالك في القيروان و الأندلس ، فحمل المعز بن باديس الناس عليه، و قطع ما سواه من المذاهب الأخرى ، هذا في الفروع أما في الاعتقادات ، فلم يزالوا سلفيين يرضون عن جميع الصحابة [72] ، و أما عن الدين الذي كان سائدا آنذاك، فقد تمثل في الدين الإسلامي،باعتبار متابعة الدول المجاورة و المتعاقبة على نشر الإسلام بين الأهالي، مع وجود أقلية ضئيلة من السكان دان بعضها باليهودية وبعضها الآخر بالمسيحية[73]، خاصة فيما عرف عن دولة بني حماد ،باعتبار أخذها لحرية الأديان كمبدأ أساسي من مبادئ قيام حكمها ، كما شهدت الفترة الصنهاجية ، كما قال رابح بونار :" نشط الفقهاء بالمغرب كله ، على عهد

---

[71]: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين ، مصطفى أبو ضيف عمر ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، 1982م ، ص 63.

[72] : ينظر، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، مبارك الميلي ، ج 2 ، ص 140 .

[73] : ينظر ، الأدب في عصر دولة بني حماد ، محمد أبو رزاق ، ص 135 .

الفاطميين (296 هـ- 362 هـ) و الصنهاجيين (362هـ- 547 هـ) ، في القرنين الرابع والخامس لدراسة الفقه المالكي الذي يسيطر على المغرب كله "[74].

أما من الناحية الاجتماعية ، فقد عرفت الحياة الشعبية في عهد الصنهاجيين أياما معلومة للشعب تعطى للراحة ، فيتعطل فيها العمل ، وعرفت الحياة إقامة الأفراح ، و يبدو أن الحياة الاجتماعية ، قد نالها تحسن ملحوظ في عهد الزيريين ، فقلّ بها الفجور [75]. كما قيل عن الهجرات الهلالية يعود لها الفضل في تحويل سكان المغرب من شعب بربري إلى شعب عربي متجاوب مع الأمة العربية آمالا و آلاما ، مشاركا لها في مصالحها المشتركة الاجتماعية [76].

٣- المجال الثقافـي و الحضـاري :

فمن الناحية الثقافية ، فقد كانت جليّة خاصة في الحقل الديني ، حيث وجدت الفرق الكلامية من السنة و الخوارج و الشيعة مرتعا خصبا في البلاد المغربية ولا سيّما القيروان ، فقد كان لهذه المذاهب الفضل في إنعاش الحركة الثقافية و العلمية على حدّ سواء بفضل تلك المناظرات والمناقشات التي كانت تجرى في مجالس الدرس عن كل مذهب من المذاهب المعروفة[77] ، أما عن أهم المراكز الثقافية التي عرفتها الفترة الصنهاجية ، فقد تمثلت في : ففي القطر التونسي كانت هناك القيروان و كذلك نجد المهدية ، و في الجزائر: كانت المسيلة (قلعة بني حماد) وبجاية و تيهرت و الزاب و تلمسان ، و في المغرب الأقصى : ظهرت فاس و مكناس وسجلماسة [78] ، أما عن سبب اشتهار القيروان دونما سواها من المراكز ، فذلك راجع إلى:

- أنها أقدم مركز خططه العرب ببلاد المغرب.

---

[74]: المغرب العربي، رابح بونار ، ص 257.

[75]: المرجع نفسه ، ص 185.

[76]: ينظر ،الأدب في عصر دولة بني حماد ، محمد أبو رزاق ، ص 134.

[77]:ينظر ، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي ،بشير خلدون ،ص 28.

[78]: المرجع نفسه ، ص 32.

- اختيرت عاصمة الولاة و الأمراء فيما بعد .
- مكانها الاستراتيجي باعتبار قربها للمشرق و المغرب.
- مركز القادمين من المشرق ، و لا سيّما القواد الفاتحين و العلماء والأدباء.[79]

أما الجانب الحضاري ، فقد عرفت الفترة الصنهاجية حركة حضارية وعمرانية واسعة النطاق، حيث ساعد الملوك على تضخيم الملك وإنشاء المدن و القصور ، و بعثت الناس إلى مثل ذلك ، فاستبحر العمران و ضاقت المدن [80] ، و إن كان الجانب الحمادي أكثر الأطراف الصنهاجية من عرف زيادة في الحركة العمرانية ، و ذلك خصوصا بعدما جرى لبني باديس من أحداث تخريبية هلالية ، و فرار الناس من المنطقة الزيرية الشرقية إلى الغربية ، فزاد ذلك من وتيرة الحماديين في إنشاء القصور في مختلف المدن و المساجد و الجوامع والمآذن ، ضف إلى ذلك تأسيسهم ، للمدينتين العظيمتين : القلعة على يد حماد بن بلكين وبجاية على يد الناصر الحمادي ، فأدخلتا بذلك تاريخ العمران و الحضارة ، و عن بجاية ، قال صاحب عنوان الدراية :" إن بجاية لم تكن لها تاريخ يذكر في العهد البربري ، إلا في عهد بني حماد"[81] ، وليس بجاية فحسب ، فإن القلعة و قصرها ، يعود الفضل الأول والأخير في بلوغها ما بلغته من درجة حضارية عالية لمؤسسها الأول حماد بن بلكين .

لقد ازدهرت العلوم و الأدب في الفترة الصنهاجية ، فنشطت بذلك الحياة العلمية ، وبرز للوجود كثير من العلماء في مختلف المعارف و الفنون ، و نبغ عدد لا بأس به من الشعراء والكتاب و النقاد [82]، و قد رأى أحد الدارسين الفضل العبيدي ، لما آلت إليه الحالة العلمية، وفي ذلك يقول رابح بونار:"و لم تنفصل صنهاجة ، انفصالا، حقيقيا من الفاطميين إلا بعد أن نضجت الآداب و ارتقت العلوم في أواخر النصف الأول من القرن الخامس "[83]، و لكن وعلى الرغم من هذا الفضل ، فإن الدولة الفاطمية هي نفسها ، من حكمت على هذه العلوم والمعارف بالتدهور والانحطاط .كما دعم هذا الوجود الفكري في الفترة الصنهاجية، و زاد من رقيّه و ازدهاره اهتمام حكامها أنفسهم بالعلم وأهله ، وفي ذلك يقول رابح بونار:"وأكبر سبب أعان على ذلك هو تشجيع الأمراء و الوزراء والأعيان لجميع العلماء ، فقد حظي القطر التونسي و لا سيما أيام باديس و ابنه المعز بأوفر نصيب من التمدن الإسلامي"[84]، و هذا

---

[79]: نفسه ، ص 33.

[80]:ينظر ، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، مبارك الميلي ، ج 2 ، 138.

[81]:عنوان الدراية ، الغبريني ، ت – رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط 2 ، 1981م ،ص 5.

[82] : ينظر ، الحركة النقدية ، بشير خلدون ، ص 21 .

[83] : المغرب العربي ، رابح بونار ، ص 252 .

[84] : المرجع نفسه ، ص 205 .

نفسه ما ذهب إليه بشبر خلدون حين قال :" مشاهير أمرائها الذين إليهم يرجع الفضل في إنماء الحركة الفكرية والثقافية في هذه الربوع، لإقبالهم أنفسهم على العلم و الأدب، وأخذهم بأيدي أهلها وتشجيعهم على التروح إليهم والإقامة بالقرب منهم "[85] ، حيث اشتهر الحماديون كذلك بتقريبهم للعلماء و رعايتهم للعلم ، فجلبت الكثير من عباقرة تونس والأندلس والشام والحجاز و العراق وصقلية و العجم ، فتقاطروا على القلعة والعواصم العلمية الأخرى ، فنبغ في عهد بني حماد علماء مبرزون وظهر مؤلفون ممن تعمقوا في مختلف العلوم التي كانت تمثل الثقافة في ذلك الوقت [86] ، لتعرف الحركة العلمية عامة مكانة مميزة ببلاد المغرب في فترته الصنهاجية ، حيث ظهرت الفلسفة والمنطق و الطب و التنجيم والفلك والرياضيات [87] ، ناهيك عن ذلك التطور الملحوظ الذي شهدته في اللغة والنحو ، على غرار ما كانت عليه الحال في كل من البصرة والكوفة وبغداد و دمشق[88] .

ليكون الجو السياسي المشحون هو أكثر الأشياء لفتا لإنتباه أي مطلع على ما عرف بالفترة الصنهاجية .

الفصل الأول

الفنون النثرية في الفترة الصنهاجية و أنواعها

- تمهيد

ا- الخطابة : ا- الخطبة السياسية

ب- الخطبة الدينية

---

[85] : الحركة النقدية ، بشير خلدون ، ص 22 .

[86] : ينظر ، تاريخ الأدب الجزائري ، محمد طمار ،ص 115 .

[87] : ينظر. المغرب العربي ، رابح بونار ، ص 30 .

[88] : ينظر ، الحركة النقدية ، بشير خلدون ، ص 29 .

٢– الرسائل : أ– الرسالة الديوانية

ب– الرسالة الاخوانية

٣– المناظرات

٤– الوصايا

٥– المقامات

٦ – الأمثال و الحكم

تمهيد :

عرفت الفترة الصنهاجية ظهور أربع أملاك على الساحة المغربية ، استقلت كل واحدة منها عن الأخرى، ما يفضي منطقيا إلى وجود كم لا بأس به من أدب مثل تلك الأملاك ، و لا سيما الرسائل الديوانية منها باعتبارها ترجمان أي ملك ، ووثيقة رسمية له،لكن ما كان مبثوث في خضم المصادر التي عنيت بترجمة أدب تلك الفترة ، جاء عكس ذلك تماما، إذ أنا لمسنا فيها كثيرا من الأحايين إشارة لمضمون النص الأبي دون إيراده كاملا، في حين كان لزاما علينا إيراد النص كاملا ، حتى يتسنى لنا فيما بعد الغوص في قيمه الجمالية،وهو المرام المراد الإبانة عنه من وراء هذا البحث .

و لما كان النثر جزءا من الكل و المتمثل في الأدب، فقد أطلقت هذه اللفظة منذ القدم على كل ما هو منظوم و منثور بشرط الإجادة فيهما ، و هو نفسه ما جاء به ابن خلدون، حيث يقول:" هو العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، و إنما المقصود منه عند أهل اللسان و هي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعر عالي الطبقة ، و سجع متساو في الإجادة و مسائل من اللغة و النحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة يستقرئ منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من أيام العرب ، يفهم به ما يقع في أشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة و الأخبار العامة"[89] ، فقد عدَّ ابن خلدون الأدب علما بلا موضوع ، شرطه الأساسي الإجادة في فني النظم و النثر ، و أورد عددا من المعايير التي لابد من التقيد بها و ذلك "لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه "[90] ، لكن حتى و إن كان ما أورده ابن خلدون من شروط له من الأهمية جانب، فإن الأهم منه ، هو عدم تقييد المبدع ووضعه تحت ضغوط ، تحد من درجة التعبير الإبداعية لديه ، خاصة إذا ما علمنا أن أجود آداب العرب وكلامهم ، ما جاء سليقة و صدر عن فطرة، و إن كانت غاية ابن خلدون وراء هذا القول أن يحفظ هذا الإبداع فيما بعد، و الشيء نفسه الذي اشترطه ابن خلدون ،ذهب إليه الدارسون ، و عن ذلك قيل :" و هي الإجادة في فني المنظوم و المنثور على أساليب العرب و مناحيهم "[91]، و إن وُجد من الدارسين وخاصة المحدثين منهم من أضفى على الكلمة نوعا من الجدة يتماشى وعالم الأدب

---

[89] :المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، ج 1، دار الجيل، بيروت، د. ط ، د . ت ، ص 612.

[90] : المصدر نفسه ، ص نفسها .

[91]: تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، ج 1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، 1425 هـ - 2005م ، ص 22.

الواسع و ذلك حين قيل:"الأدب فن الكلمة ، سواء الكلمة المقروءة أو الكلمة المسموعة "[92] ، لتشمل بذلك لفظة أدب كل كلام وُسم بصبغة فنية مكنته من الارتقاء لعالم الأدب وفنونه.
كما اتفق على أن النثر ضرب من ضروب الأدب ، و هو الآخر أسهب الدارسون في تحديد ماهيته ومن ذلك قولهم:"و هو الكلام غير الموزون "[93] ، و بغض النظر عن هذه الخاصية التي يتميز بها النثر ، فإن من الدارسين من بحث عن –تسميته كذلك ، وعن ذلك قيل :"و قد أطلق النقاد العرب القدامى مصطلح النثر عن الكلام الذي يتفوه به الخطيب في المواقف الشهيرة و المترسل على كتابة الطوامير دون أن يكون أي منهما خاضعا لقيود الوزن و القافية ، و لعلهم أن يكونوا أخذوه من معنى الدر المنثور الذي لا يتم الارتقاق به إلا إذا انتظمه عقد ، ولا يقع الالتذاذ به و التمتع بجماله إلا إذا وضع في موضع الهيأ له من جسم المرأة و هو جيدها "[94] ، ليتفق هو الآخر مع ما سبق ذكره في أن النثر لا قيود له ولا أوزان تضبطه ، و قد عده مصطلحا نقديا خصه بالخطيب فيما مضى من الزمان، لعلها إشارة منه لأول نص نثري عرفته العرب و المتمثل في الخطبة البتراء لقص بن ساعدة، و التي كان الارتجال فيها هو سيد الموقف ، و إن كان القول بأن النثر هو الكلام غير الموزون فيه وجهة نظر ، فإذا كان كذلك فقياسا على هذا الكلام ، ففن المقامة يعد في هذه الحالة غرضا شعريا و ليس فن نثري ، باعتباره خاضع لقيود و شروط ،يخيل للسامع له أنه مضبوط بأوزان تعكس تلك النبرة التي تقع في الأذن بمجرد سماعه . أما عن أقسام النثر فقد قيل:"النثر هو الكلام الذي لم ينظم في أوزان و قواف ، و هو على ضربين، أما الضرب الأول فهو النثر العادي الذي يقال في لغة التخاطب ، وليست لهذا الضرب قيمة أدبية إلا ما يجري فيه أحيانا من أمثال و حكم ، و أما الضرب الثاني فهو النثر الذي يرتفع فيه أصحابه إلى لغة فيها فن و مهارة و بلاغة ، و هذا الضرب هو الذي يعنى النقاد في اللغات المختلفة ببحثه ودرسه و بيان ما مر به من أحداث و أطوار"[95]، فإذا قيل فيما سبق أن النثر ضربان ، فإن من الباحثين من جاء بضرب ثالث ، وذلك حين قيل :"إذن فأقسام النثر ثلاثة محادثة وخطابة و كتابة ، و كلها إما أن تكون كلاما خليّا من التزام التقفية في أواخر عباراته ، وذلك ما يسمى النثر المرسل وإما أن تكون قطعا ملتزما في آخر كل فقرتين منها أو أكثر قافية واحدة و هذا ما يسمى

---

[92]:الأدب و فنونه ، عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة – مصر ، ط 8 ، ص 14.
[93]: المقدمة ، ابن خلدون ، ج 1 ، ص 627.
[94]: الأدب الجزائري القديم ، عبد الملك مرتاض ، دار هومة للطباعة و النشر ، د .ط ، 2005 ، ص 80.
[95] :الفن و مذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، د. ط ، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، ص 15.

السجع"[96] ، والنثر قديم قدم الوجود البشري ، ولا سيما العربي منه ، و هذا ما يعرف بـــ : قدمية النثر المطلق ، وعن هذه القدمية قيل :"و نعني به ما كان يرسل على السجية دون تعمّل فني خاص ، والنثر المطلق قديم في الأدب العربي نراه في عهد النبي ، و يحملنا الاستنتاج العقلي ، على أنه كان في الجاهلية أيضا إذ لا يعقل أن تبلغ قريش مثلا في جاهليتها ما بلغته من التقدم التجاري فيكون لها اتصال باليمن و الشام والعراق و فارس و لا يكون لها من النثر غير الأسجاع التي تعبر عن العواطف الدينية والنظرات الأخلاقية "[97]، لنقول على خلفية قدم النثر ، وعلى أساس ذلك ، فقد وُوُ جد منه ما سار مشافهة ، ومنه ما وُوُ جد مكاتبة ، لنلمس هنا اتصال النثر بالكتابة ، هذه الأخيرة التي قيل عنها :"الكتابة من أشرف الصنائع وأرفعها وأربح البضائع و أنفعها"[98] ، وذلك نظرا لما نقلته لنا من روائع الإبداعات، خاصة النثرية منها، وتعرف بالكتابة الفنية ، فمنهم من عدها فنا من الفنون النثرية بالكتابة الفنية . وفي ذلك قيل :" وهو يتفرع إلى جدولين كبيرين هما الخطابة والكتابة الفنية، ويسميها بعض الباحثين باسم النثر الفني ، و هي تشمل القصص المكتوب كما تشمل الرسائل الأدبية المعبرة و قد تتسع فتشمل الكتابة التاريخية المنمقة "[99] ، و البعض الآخر قال عنها أنها ضرورة دولية: " الكتابة الفنية من ضروريات الدولة ، لتنظيم دواوينها وتنفيذ أوامرها من موضوعات مختلفة حسب مقتضيات مصالحها من تقليد الولاة وتولية القضاة و مراسلة الملوك و الأمراء و جباية الأموال ، والتحريض على الحروب ، و الحث على قمع الخصوم المناوئين ، و الاستنصار على العدو عند الشعور بالضعف ، و التبشير بالنصر ، و الحض على تأييد مذهب الدولة ومآزرته و غير ذلك"[100]،فقد عد الأول النثر قسمان : الخطابة والكتابة الفنية في حين الثاني قال عن الكتابة الفنية ،رسائل ديوانية ، لنلمس من الرأيين نوعا من التقارب (أي مفهومهما عن الكتابة الفنية) ، فأما الأول جعلها تشمل القصص و الرسائل المحبرة ، وأما الرأي الثاني اعتبرها رسائل ديوانية،لكن حتى و إن كانت الرسائل الديوانية تستدعي الكتابة الفنية ، هذا لا يعني إسقاط باقي الفنون النثرية منها ، بمعنى آخر فحتى الخطابة و المقامة والمناظرة تستدعي حضورها،باعتبارها من الأنواع النثرية . و قبل أن نورد الفنون النثرية التي عُرِفَتْ في الفترة الصنهاجية ، فيما يلي محاولة لتحديد مصطلح فن نثري ، فبعدما كان يعرف قديما

---

[96]:جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب ، السيد أحمد الهاشمي ، ج 1 ، دار الجيل ، د . ط ، د .ت،ص 401.

[97]:تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، أنيس مقدسي، دار العلم، بيروت – لبنان، ط 4، 1968، ص 20.

[98] :صبح الأعشى في كتابة الإنشا ، أحمد القلقشندى ، ج 1 ، د .ط ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1313 ه - 1912م، ص 06.

[99] : الفن ومذاهبه في النثر العربي،شرقي ضيف، ص 15.

[100] : الأدب في عصر دولة بني حماد ، محمد أبو الرزاق ، ص 172.

بالفن النثري المشتمل على مذاهب في الكلام[101] ، أضحى يعرف حديثا بالجنس و الذي هو الأصل و المشتمل على أنواع و التي هي الفرع [102] . أما فيما اختص بالفنون النثرية التي عرفت في الفترة الصنهاجية فقد تمثلت في :

ا- الخطابـــــــة :

فقد عدها الدارسون أم الفنون النثرية ، باعتبارها أقدم فن نثري عرفه العرب ، لتحتل بذلك مكانة خاصة في نفوس العرب ، و لا سيما عند علماء الكلام:" و كان المعتزلة يلتجئون إلى الخطابة و الجدال في تأييد أمرهم ، و بيان مذاهبهم و مقالاتهم فهو يرسم للخطابة أدبا يستحسن فيه أن يقتبس القرآن والشعر ، كخطبة النكاح و ما تتطلبه الخطابة من الجهر بالقول و ترفيع الصوت"[103] .
وقد كانت للخطابة منذ ظهورها استخدامات متنوعة فوجدناها في المنافرات والمفاخرات وفي النصح و الإرشاد وفي الحث على قتال الأعداء و في الدعوة إلى السلم و حقن الدماء[104]، فألفيناها تتنوع بتنوع المناسبة التي دعت إليها ، فوجدنا الخطب السياسية والدينية والاجتماعية و هلم جرا ، ليعكس بذلك نوعها عن مضمونها، أما عن المحيط المغربي بفترته الصنهاجية فقد عرف هذا الجنس الأدبي فنا وأنواعا و من نماذج هذا النوع الأدبي:

أ - الخطبــــة السياسيـــــة :

ومن أمثلة هذا النوع من الخطب ، خطبة لعبد الله بن ياسين(*1) قالها لما حضرته الموت،
ومما جاء فيها: **" يا معشر المرابطين إني ميت من يومي هذا لا محالة ، و إنكم في بلاد عدوكم فإياكم أن تجبنوا أو تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم ، و كونوا أعوانا على الحق و إخوانا في ذات الله وإياكم و التحاسد على الرياسة فإن الله يؤتي ملكه من يشاء من خلقه و يستخلف في أرضه من أراد من عباده"[105]** ، لتعكس لنا هذه الخطبة على الرغم من قصرها مدى اتصالهم الديني آنذاك. و من أمثلتها كذلك خطبة لابن شرف (***1**)،

[101]: ينظر، المقدمة، ابن خلدون، ج 1، ص 627.

[102]: ينظر ، الأدب الجزائري القديم ، عبد الملك مرتاض ، ص 61.

[103]: البيان و التبيين ، الجاحظ ، ت – عبد السلام هارون ، ج 1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 7 ، 1418هـ - 1998 م ، ص 10.

[104] : ينظر ، الفن و مذاهبه في النثر ، شوقي ضيف ، ص 27.

[105] : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، الناصري السلاوي ، مج 1 ، ص 187.

و التي قيل عن مناسبتها عند وسمه كتابه "أبكار الأفكار "باسم باديس بن حبوس، في خطبة طويلة و التي رسم فيها الخريطة السياسية التي كانت سائدة في تلك الفترة ، و مما جاء فيها:" **ما ظننت الابتداء إلا بلغ ، و لا حسبت الاختراع إلا فرغ حتى إذا استأثرت بنيات صدري ، و لطائف فكري ، ببيت واحد الجنسية ، ومعنى غريب الأبنية ، قلت لنفسي ، هيهات ! لا شك أنك سبقت إلى هذه الغاية ، وعلتك قلة الرواية،وكثر سباق الرواد و الفُرّاط الوُرّاد ، فما تركوا للمتأخرين من الرياض زهرة ، ولا من الحياض قطرة،كما أن جيش الكرم قد انهزم و زائر الشرق قد انصرف ، و مركوب المجد قد ند،فعشت أظن هذا الظن ، حتى سافرت إلينا رفاق الأخبار بشهادات زكاها مرور الأيام ودؤوب الدوام، تشهد بسؤدد بان عن السؤدد العصامي ، وحزم فاق الحزم الهشامي و جود جاوز الجود الكعبي ، وبأس أنسى البأس المصعبي ، ثم سفر لي الدهر عن سفر إلى مغرب الدنيا و مشرق العليا والبقعة المباركة الباديسية و الدولة المظفرية والمملكة الشامخة الحميرية و الحضرة الشريفة المنيعة الغرناطية ، فعاينت عالما في عالم قد شركوه في النسبة إلى آدم و انفرد من مناسبتهم ، و شذ عن مجانستهم بجميل طرائق وحميد خلائق ..."[106]** ، فقد طبع هذه الخطبة الطول مع عدم الوقوف على تسجيل بدايتها **فقد** اكتفى ابن بسام في بإيراد مقاطع منها متحججا بطولها.

ب –الخطبـــــة الدينيـــــة :

و من النماذج التي نوردها في هذا المقام خطبة من بين الخطب الكثيرة الدينية التي خلفها لنا القاضي عياض(*2) ، و التي جاء فيها :" **الحمد لله الذي سبق كل شيء قدما ، و وسع كل شيء رحمة و علما و نعما و هدى أولياءه طريقا نهجا أمما، و أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه و**

(*1): هو مؤسس الدولة المرابطية ، جازولي الانتماء ، توفي سنة 451هـ ، و دفن بكريفلة نواحي الرباط حاليا(عبد الله كنون ، مشاهير رجال المغرب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص 5 - 6 - 27 .

(*1):هو أبو عبد الله محمد بن شرف الجذامي ، القيرواني المولد دون أن تذكر كتب التراجم سنة ميلاده ، الأندلسي الوفاة لعام 460هـ (الذخيرة ، ج 4 ، ص 133) .

[106]: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام الشنتريني ، ت – إحسان عباس ، القسم 4 ، ج 7 – 8 ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، 2000م ، ص 124 – 125.

(*2): هو الإمام المحدث أبو الفضل القاضي عياض بن موسى بن عياض ، السبتي المولد عام 477 هـ، و المغربي الوفاة وتحديدا بمدينة سلا المغربية عام 543 هـ، (الحلل السندسية ، القسم 4 ، ج 1 ، ص 970 (.

يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا، ماكثين فيه أبدا.أحمده على مواهبه ، وهو أحق من حمد ، و أسأله أن يجعلنا أجمع ، ممن حظي برضاه و سعد وأستعين على طاعته ، فهو أعز من استعين واستنجد، و أستهدي توفيقا، فإن من يهد الله فهو المهتد،ومن يظلل فلن تجد له وليا مرشدا ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، بشهادة فاتحة لأقفال قلوبنا، راجحة بأثقال ذنوبنا ، منزهة له عن التشبيه و التمثيل بنا ، و أنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة و لا ولدا ، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله ، أنزل عليه الفرقان ، و بعثه بالهدى والإيمان،وأغزى بدعوته دعوة أولياء الشيطان، و أبعدهم مقاعد عن السمع، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا.أيها السامع،قد أيقظك صرف القدر من سنة الهوى و تياراته، ووعظك كتاب الله بزواجره وعضاته ،فتأمل حدوده ، وتدبر محكم آياته ، و أتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ، ولن تجد من دونه ملتحدا .أين الذين عتوا على الله ، و تعظموا و استطالوا على عباده وتحكموا ، وظنوا أنه لن يقدر عليهم حتى اصطلوا. و تلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا.غرهم الأمل وكواذب الظنون، وذهلوا عن طوارق القبر و ريب المنون، وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون، حتى إذا رأوا ما يوعدون ، فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا. فهذّبوا،رحمكم الله ، سراركم بتقوى الله و اخلصوا، واشكروا نعمته، وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها، واحذروا نقمته واتقوه .ولا تعصوا ، و اعتبروا بوعيده.(قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنَ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَ مَنِ اهْتَدَى ۞)[107] ، وانهضوا لطاعته الهمم العاجزة ، واركضوا في ميدان التقوى، وحوزوا قصب خصلة العابرة، و ادخروا ما يخلصكم يوم المحاسبة والمناجزة و انتظروا قوله:(وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَ حَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمُ أَحَدًا۞)[108] وذلك يوم تذهل فيه الألباب، و ترجف القلوب رجفا، و تبذل الأرض وتنسف الجبال نسفا، ولا يقبل الله فيه من الظالمين عدلا ولا صرفا.(ونحشر المجرمين يومئذ زرقا)[109] وعرضوا على ربك صفا، لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة،بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا ، اللهم انفعنا بالكتاب و الحكمة ، وارحمنا بالهداية والعصمة،و أوزعنا شكر ما أوليت من النعمة. ربنا آتنا من لدنك رحمة، وهيئ لنا من أمرنا رشدا."[110]

فعلى الرغم من كثرة الأسباب التي كانت آنذاك في الفترة الصنهاجية والتي تقضي إلى كتابة الكثير من الخطب بمختلف أنواعها ، على حسب اختلاف المناسبات الداعية لها ، ولا سيما السياسية منها ، إلا أن ما روته لنا المصادر من خطب و نقلته لنا من نصوص لها ، لم يعكس لنا البتة الواقع المعاش آنذاك. و إن كانت أسباب ذلك لا تخرج عن نطاق أحد هاذين العاملين:

---

[107] : سورة طه ، الآية 135.

[108] : سورة الكهف، الآية 47.

[109] : في الأصل:"يوم" سورة طه ، الآية 102.

[110] : الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب ، ت – يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1424 هـ - 2002م ، ص 193.

-إما إهمالا من أصحابها آنذاك في تسجيلها و بالتالي سقط حفظها من أيدي الزمن .

- أو كتبت و سجلت ، لكن ضاعت أو أتلفت و لا سيما إذا ما علمنا عدد الانتهاكات الاستعمارية التي طالت المنطقة المغربية و خاصة الشمالية منها .

٢-الرسائـــــــــل:

لقد بلغ هذا النوع بين باقي الأنواع النثرية في الفترة الصنهاجية شأوا كبيرا لدى نفوس المغاربة و خاصة الأدباء منهم ، و ذلك ما عكسته لنا النصوص الترسلية التي وجدت مبثوثة في المضان سواء كانت ديوانية أم اخوانية.

أ – الرســـالة الديوانـــية :

فكما هو معروف عنها ، فهي تلك الصادرة عن ديوان الدولة والمكتوبة في تدبير شؤونها، و عن أهميتها قيل :" تكسب الرسائل الديوانية أهميتها و خطورتها بوصفها لسان حال الدولة وعليها يعتمد ترتيبها و تسيير أمورها ، و تحديد علاقاتها مع الدول الأخرى وعليها تعتمد هيبتها و تستند إليها أركانها

، فهي قوام الملك وضبـــــط قواعده"[111] ، فإن أي كلام عن أهميتها بالنسبة لأي دولة حديث لا غبار عليه ، فإن لها من المكانة ما يجعل صاحبها أحرص الناس عليها. و كغيرها من الأنواع الأدبية فهي تتسم بمياسم تميزها عن باقي الأنواع و ذلك في :" بسط الكلام وهو يتناول التهنئات بالنصر و تقليد الوظائـــــف ومكاتبات العمال والملوك و الأمراء و ما إلى ذلك"[112] ، وحتى تتحقق هذه المآرب المذكورة فهي تحتاج :" إلى الكتابة في مثل هذه الموضوعات لتسيير شؤونها يستوجب انتخاب كتاب نبهاء ذوي مروءة وحذق،و إن كانوا موجودين في الأمة" [113] . وفيما يلي سنورد نماذج لكل ملك صنهاجي،باعتبار الاتصال المباشر لهذا النوع الأدبي مع نظام الحكم .

- **الملك الزيري الشرقي الصنهاجي (362 هـ-543 هـ) :**

و قد جاء في البيان المغرب للمراكشي ، إيراد للعديد من رسائلها الديوانية ، لكن إشارة لمضمونها فقط ، دون الوقوف على كتابته لنصها كاملا على الرغم من وقوفه عليها،وذلك:

- إما أنها كتبت بغير اللسان العربي .
- أو أنها لم تقع بين يديه ، بل اكتفى بسماعها فقط .

و من هذه الرسائل : " و في هذه السنة[114] وصل باديس بن زيري من مصر برسالة إلى أبي الفتوح يأمره بتخير ألف فارس من إخوته أبطال صنهاجة، منهم حبوس و ماكسن و زاوي

وحمامة بن زيري ، و بنو حمامة بن مناد و زاوي بن مناد و نظرائهم ،فكتب إليه من بلاد المغرب يعرّفه بتغلب بني أمية أمراء الأندلس على بلاد الغرب، و أن الدعاء لهم فيه على المنابر، وأنه قد خرج لمحاربتهم لهؤلاء الرجال الذين سماهم أمير المؤمنين ، فإن عزم على بعثهم إليه ، ترك الغرب و سار بنفسه في جملتهم، فلم يعد إليه جوابا فيهم}"[115] ، ومن نماذجها أيضا :" في سنة 383 هـ ، خرج باديس بن

---

[111] :النثر الفني عند لسان الدين بن خطيب،د.عبد الحميد حسين الهروط ، دار جرير النشر و التوزيع ، عمان – الأردن، ط 1، 1426 هـ-2006 م،ص 43

[112] : تطور الأساليب النثرية، أنيس المقدسي، ص 218.

[113] : الأدب في عصر دولة بني حماد ، محمد أبو الرزاق ،ص 172.

[114] : أي عام 370هـ .

[115] : البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ابن عذارى المراكشي، ت. إحسان عباس، ج 4، دار الثقافة، بيروت – لبنان ، ط 2، 1400 هـ - 1980م، ص 240.

منصور إلى مدينة أشير ، وفيها وصل إلى المنصور كتاب أخيه يطوفت ، يخبره بوصول عمه أبي البهار إليه ، فكتب إليه المنصور أن يبعثه) [116] .

الملك المرابطي الصنهاجي (472 هـ – 539 هـ):

رسالة ليوسف بن تاشفين(465 هـ – 500 هـ)،ردا على الكتاب الذي جاءه من لدن ملوك الأندلس و على رأسهم المعتمد بن عباد : "فلما جاءه الكتاب مع تحف وهدايا،وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف اللسان العربي ، ولكنه كان يجيد فهم المقاصد ، وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية و المرابطية ، فكتب الكاتب :" **بسم الله الرحمن الرحيم، من يوسف بن تاشفين ، السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته ، تحية من سالمكم، وسلم إليكم ، وحكمه التأييد والنصر فيما حكم عليكم ، وإنكم مما بأيديكم من الملك في أوسع إباحة ، مخصوصون منا بأكرم إيثار وسماحة ، فاستديموا وفاءنا بوفائكم،واستصلحوا إخاءنا بإصلاح إخائكم، و الله ولي التوفيق لنا ولكم والسلام"** [117] .

كما كتب أمير المسلمين علي بن يوسف من مراكش في السنة 510 هـ ، كتابا إلى أحد الولاة يحضه فيه على إقامة الحق ، ومن بعض فصول هذه الرسالة :" **وقد رأينا والله ولي التوفيق،و الهادي إلى سواء الطريق ، أن نجدد عهدنا إلى عمّالنا بالتزام أحكام الحق و إيثار أسباب الرفق لما نرجوه في ذلك من الصلاح الشامل و الخير العاجل والله تعالى ييسرنا لما يرضيه في قول وعمل بقوته ، و أنت أعزك الله ممن يستغني بإشارة التذكرة، و يكتفي بلمحتها التبصرة، لما تأوي إليه من السياسة و التجربة ، فاتخذ الحق أمامك ومَلِّكْ يده زمامك ، و أجر عليه في القوى والضعيف أحكامك ، وارفع لدعوة المظلوم حجابك ، ولا تسد في وجه المضطر المظلوم بابك ، ووطئ للرعية،– حاطها الله – أكتافك ، وابذل لها إنصافك واستعمل عليها من يرفق بها ويعدل فيها واطرح كل من يحيف عليه و يؤذيها، و من تثبت عليه من عمالك زيادة أو فرق في أمرها عادة أو غَيَّرَ رسما ، أو بَدَّلَ حكما أو أخذ لنفسه درهما ظلما ، فأعزله عن عمله و عاقبه في بدنه، و ألزمه رد ما أخذ تَعَدِّيًا إلى أهله ، و اجعله نكالا لغيره ، حتى لا يقدم أحد منهم على مثل فعله إن شاء الله تعالى ، وهو ولي تسديدك ، و الملي بعضدك وتأييدك لا الاه إلا هو عليه توكلت"** [118] .

---

[116] : المصدر نفسه ، 247.

[117]: المصدر السابق، ص 113.

[118] : المصدر نفسه، ص 64

(*1): ذكر ابن بشرون أنه من الكتاب المتصرفين في الكتابة السلطانية في الدولة الحمادية (لم تورد له لا سنة ميلاد ولا وفاة) ، و قيل أنه كان حيا عام 547 هـ، (معجم أعلام الجزائر ، عادل نويهض ، بيروت – لبنان ، ط 2 ، 1403 هـ – 1983م ، ص 142.

الملك الزيري الغربي الصنهاجي (406 هـ – 547 هـ) :

أي ما يعرف بالدولة الحمادية ، و التي عرفت هي الأخرى هذا النوع من الأدب ، ومن نماذج ذلك ، رسالة لأبي عبد الله محمد الكاتب المعروف بـــ : (ابن دفرير)(*1) ، وهي رسالة كتبها عن سلطانها يحيى بن العزيز الحمادي(515 هـ- 558 هـ) ، و قد فر من مدينة بجاية أمام عسكر عبد المؤمن ، يستنجد ببعض أمراء العرب في تلك الولاية :**"كتابنا ونحن نحمد الله على ما شاء وسر رضى بالقسم ، وتسليمها للقدر، وتعويلا على جزائه الذي يجزي به من شكر ، ونصلي على النبي محمد خير البشر، و على آله و صحبه ما لاح نجم بسحر،وبعد،فإنه لما أراد الله أن يقع ما وقع ، لقبح آثار من خان في دولتنا وضبع استفز أهل موالتنا، الشنآن و أغرى من اصطنعناه وأنعمنا عليه الكفران، فأتوا من حيث لا يحذرون ، وارموا من حيث لا ينصرون، فكنا في الاستعانة بهم والتعويل عليهم كمن يستشفي من داء بداء، ويفر من صل خبيث إلى حية صماء، حيث بغتت مكرهم و أعجل عن التلافي أمرهم ، ويرد وبال أمرهم إليهم،فعند ذلك اعتزلنا محلة الفتنة ، وملنا إلى مظنة الآمنة و بعثنا في أحياء هلال نستنجد منهم أهل النجدة ، ونستنفر من كنا نراه للهمم عدة ، و أنتم في هذا الأمر أول من يليهم الخاطر وتشى عليه الخناصر"**[119] ، و ثاني النماذج هي لأبي القاسم عبد الرحمن الكاتب المعروف بابن العالمي(*1)، و هو أيضا أحد كتاب الدولة الحمادية:" **و لما كنت في مضمار سلفك جاريا، ولنا موالينا ، وفي قضاء طاعتنا متباهيا ، رأينا أن نثبت مبانيك ، ونؤكد أواخيك ونوجب لك ولخلقك،ما أوجبه سلفنا لسلفك ، تمييزا لهم عن الأكفاء ومجازاة لهم على محض الصفاء و الولاء فاستدم هذه النعمة العظيم خطرها بالشكر فأنت به جدير و من يقترف حسنة تزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور "** [120]

-الملك الزيري الأندلسي الصنهاجي (390 هـ – 483 هـ) :

و قبل البدء ، في إيراد لنماذج الرسائل الديوانية و التي مثلت هذا الملك الصنهاجي ، فإن وازعنا باعتداده أدبا من الفترة الصنهاجية ، على الرغم من خروجه من نطاق المنطقة المغربية، أن المنطقة

---

[119]:خريدة القصر و جريدة العصر ، العماد الأصفهاني ، ت. المرزوقي و المطوي ، قسم الشعراء المغرب ، ج 1، دار التونسية للنشر، د.ط ، د.ت ، ص 180.

(*1): قال عنه البشرون أنه من أهل المغرب الأوسط من كتاب الدولة الحمادية ، و لم ترد له لا سنة ميلاد و لا وفاة، وقيل عنه أنه كان حيا قبل 561 هـ (معجم أعلام الجزائر ، عادل نويهض ، ص 213.

[120] : المصدر نفسه ، ص 181 .

الأندلسية هي الأخرى عدت منطقة مغربية ، و عن ذلك قيل : " تعني تسمية المغرب الإسلامي في العالم العربي ، المنطقة التي تلي الضفة الغربية للنيل الى حدود الأندلس، وهو اسم أطلقه الفاتحون على هذه المنطقة بالقياس الى الجزيرة العربية "[121] .

ومن نماذج هذا النوع و الذي كان متداولا أيام بني زيري بدولة غرناطة الأندلسية ، جواب زاوي بن زيري عن الكتاب الذي أرسله أحد زعماء الطوائف الباغية و التي أرادت تجريده من الملك الذي آل إليه بالأندلس ، و مما جاء فيه:**"فأمر زاوي المذكور بكتب الجواب من إملائه،و قال للكاتب : لا تزد شيئا على ما أملي عليك ، أكتب {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ۝ حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ۝ ثُمَّ كَلَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}**[122]

و من النماذج أيضا ، رسالة للملك حبوس ، ومما جاء فيها : **"وقد عقد الله بيننا عقودا قادها للاختبار و في طول الأمد ، و تسرب المدد وتباعد الديار ، و تقلب الليل والنهار، وما يحيل الأحوال، ويقطع الآمال ، ويشفق منه الضنين، و تسوء منه الظنون، ولاسيما في هذه الفتنة التي تبلد الحليم ،و تخلط الصحيح بالسقيم ، وأنا لكما الصفي الذي لا تقدح الأيام في وده و الوفي الذي لا تخشاه الأنام على عهده ، وإذ لا سبيل إلى أن أودي معتقدي في ذلك مشافهة فإني أنبأته مكاتبة مع من ينطق بلساني ، و يشفق بجناني ألصق أسرتي نسبا ، و أفضل حاصيتي حسبا، وأصدقهم عني خبرا،وأحمدهم في السفارة أثرا ، الوزير فلان "**[123] .

بـ – الرســـالة الإخوانـــية :

وهي تلك التي تبادلها الأقارب والأصدقاء في الأمور الخاصة ، وهي تحمل مشاعر كتّابها،وتنقل عواطفهم، وهي كثيرة الأغراض متعددة المواضيع ، فمنها ما تناول:التهنئة،التعزية، الاعتذار ، الشكوى، وقد تفنن كتاب المغرب في تحبير كثير من الرسائل الإخوانية وتنافسوا في تدبيجها ، وقيل عن هذا النوع من النثر أنه " يندرج فن التراسل ضمن دائرة التعبير عن الذات و تبليغ ما في النفس الباطنة إلى متلق غير حاضر إلا في الذهن "[124] ، ومن الباحثين من أدرج الرسائل الإخوانية ضمن نوع قيل عنه أنه يحويها كنوع من الأنواع و سماها <u>الرسائل الأدبية</u> :"ترى تلك تتناول أغراضا عامة

---

[121] : البيان المغرب ، ابن عذارى المراكشي ، ت – كلان بروفسال ، ج 1 ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 1 ، 1983م، ص 16.

[122] : التبيان ، عبد الله بن بلكين، ص 37.(سورة التكاثر –الآية 1 – 4) .

[123] :دولة بني زيري ملوك غرناطة ، إسماعيل العربي ، الجزائر ، 1982م ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 51.

[124] : الأدب الجزائري القديم ، عبد المالك مرتاض ، ص 91.

من مكاتبات اخوانية أو مناظرات أدبية أو وصف مشاهدات شخصية"[125]، أما عن مواضيعها فإننا نجد فيها :

1- الإخوانيات: و تشمل كل ما كان يجري من المكتبات الشخصية.

2 – المفاكهات : كالمكاتبات الهزلية .

3 – المناظرات و المنافسات[126] ،و غيرها من المواضيع متعددة المناسبات و مختلفة المقامات،

و من نماذج هذا النوع من الأدب ، رسالة لابن الربيب (*1)، و مما جاء فيها : " **كتبت يا سيدي و أجل عددي ، كتب الله تعالى لك السعادة و أدام عليك العزة والسيادة سائلا مسترشدا، و باحثا مستخبرا ، و ذلك أني فكرت في بلادكم إن كانت قرارة كل فضل و منهل كل خير ونبل و مصدر كل طرفة ، و مورد كل تحفة و غاية أمل الراغبين ، و نهاية أماني الطالبين إن بارت تجارة فإليها تجلب و إن كسدت بضاعة ففيها تنفق مع كثرة علمائها ، و وفور أدبائها ، و جلالة ملوكها، و محبتهم في العلم و أهله ، يعظمون من عظمه علمه ، و يرفعون من رفعه أدبه، و كذلك سيرتهم في رحاب الحرب : يقدمون من قدمته شجاعته و عظمت في الحروب نكايته ، فشجع الجبان، وأقدم الهبيان ، و نبه الخامل ، و علم الجاهل ، و نطق العيي ، و شعر البكي واستنصر البغاث، وتثعبن الحفاث ، فتنافس الناس في العلوم و كثرة الحذاق ، بجميع الفنون ، ثم هم مع ذلك في غاية التقصير و نهاية التفريط ، من أجل أن علماء الأمصار دونوا فضائل أمصارهم ، و خلدوا في الكتب مآثر بلدانهم ، و أخبار الملوك والأمراء والكتاب و الوزراء والقضاة و العلماء ، فأبقوا لهم ذكرا في الغابرين يتجدد على مر الليالي و الأيام ، و لسان صدق في الآخرين ، يتأكد مع تصرف الأعوام و علماؤكم مع استظهارهم على العلوم كل امرئ منهم..**" ، لنقول عن هذه الرسالة حتى وإن جاز لنا إدراجها في الفن الترسلي ، إلا أن الطابع الأدبي هو الغالب عليها وخاصة النقدي منه ، و مما جاء فيها أيضا : " ... **كما تلقوا ديوان أحمد بن عبد ربه الذي سماه بالعقد ، على أنه يلحقه فيه بعض اللوم ، لا سيما إذ لم يجعل فضائل بلده ، واسطة عقده،ومناقب ملوكه يتيمة سلكه ، أكثر الحز و أخطأ المفصل ، وأطال الهز لسيف غير مقصل ، و قعد به ما قعد بأصحابه من ترك ما يعينهم ، و إغفال ما يهمهم، فأرشد أخاك أرشدك الله! اهده هداك الله ! إن كانت عندك في ذلك الجلية و بيدك فصل القضية ، والسلام عليك و رحمة الله وبركاته"**[127] .

---

[125] : تطور الأساليب النثرية ، أنيس مقدسي ، ص 323.

[126] : ينظر ، المرجع نفسه ، ص 324.

(*1): هو الحسن بن محمد التميمي القاضي المعروف بابن الربيب التاهرتي المولد لسنة لم تعرف ، و القيرواني الوفاة عام 420 ه و قد جاوز الخمسين (أنموذج الزمان ، ابن رشيق ، ت – العروسي و البكوش ، ، الدار التونسية للنشر، 1986م ، ص 112).

[127] : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، المقري ، ت – يوسف علي الطويل ، ج 4 ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، 1415 هـ- 1995م ، ص 138 – 140.

و من نماذج هذا النوع الأدبي أيضا ، رسالة لأبي الحسن علي بن عبد الغني الفهري الضرير الحصري (1*)" **السلام عليك أيها القلب الثاني ، و البعيد الداني ، الراقي في سماء المعالي، الراقي من داء الليالي ، أول ما عددت ، وأفضل من أعددت ، ومن لا زال النسيم في البكر والعشيات،يهدي إليه طيب التحيات ، ومن جعلت وقاءه ولا عدمت لقاءه ، فإذا كان الكريم سالما، كان الزمان مسالما**"[128] ،لنلمس بذلك تماشي مضمون الرسالة والألفاظ الرائقة و التي تخيرها محبرها .

٣- المناظـــرات :

فعلى الرغم من أهميته كنوع أدبي ، و ذلك لما يبينه لصاحبه من مقدرته اللغوية،و درجته البلاغية و الأسلوبية ، كيفلا و هي مباراة تجرى لإبراز من كان الأقدر والأقوى من الناحية العلمية اللغوية .و على الرغم مما ساد الفترة الصنهاجية من جو داعٍ لنشوء مثل هذا النوع النثري خاصة ، و لا سيما الإنقلاب السياسي الذي حدث على عهد المعز بن باديس و الذي يستدعي كمثل هذه الممارسات إلا أن الباحث في الفترة الصنهاجية خاصة، لا يقف على أي نص نثري مناظراتي ، إلا ما جاء إشارة له فقط ، ومن ذلك ما يلي:"وكان سعيد (1*) ، في أول دخول الشيعة مقامات محمودة ناضل فيها عن الدين،وذب عن السنن ، حتى مثله أهل القيروان في حاله تلك بأحمد بن حنبل ، أيام المحنة وكان يناظرهم ، و يقول : قد أوفيت على التسعين ، و ما بي إلى العيش من حاجة ، ولابد لي من المناضلة عن الدين ، و أن أبلغ في ذلك عذرا ، ففعل ، و كان المعتمد عليه فيها " [129] .

(1*): قيل عن فراره من القيروان بعد خرابها منتصف المائة الخامسة (450هـــ) إلى الأندلس(وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، مج 3 ، ص 331) .

[128] : الذخيرة ،ابن بسام الشنتريني ، ج 7و 8، ص 171.

[129] : انباه الرواة على أنباء النحاة ، جمال الدين القفطي ، ت – محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج 2 ، دار الفكر العربي،القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط 1 ، 1406 ه ، ص 53.

(*1) ، هو سعيد بن محمد الغساني النحوي القيرواني ، كان أستاذا في كل فن ، و كان الجدل أغلب الفنون عليه، من تآليفه : توضيح المشكل في القرآن - المقالات – الاستواء ، (انباه الرواة ، القفطي ، ج 2 ، ص 53) .

و ما يمكن استنباطه مما سبق ذكره ، أن سعيدا هذا كان مناظرا للجانب الفاطمي ضد الجانب الزيري ، باعتبار ما كان له من مقامات محمودة في أول دخول الشيعة (الدخول الفاطمي) ، و أما عن أيام المحنة فلا مراء من أن المقصود منها إعلان المعز بن باديس قطع الولاء الفاطمي ، و محاربته آنذاك لكل متعصب شيعي ، رغبة منه إحلال المذهب السني بدلا منه ، و أما عن سنة ميلاد و وفاة سعيد بن محمد الغساني لم تحدد ، لكن قيل أنه ما بين حوالي عامي : 350 هـ - 440هـ (كان حيا) .

و إن كان عدم العثور على أي نص مناظراتي يعكس لنا حال المجتمع آنذاك ، من ترجيح حالة الخراب الذي طال المنطقة إبان الحملة الهلالية ، فمما لا شك فيه أن الجانب الفاطمي كان من أول أوامره للهلاليين القضاء على كل متكلم تعصب للمذهب السني ، باعتبار ما فعله قبله المعز و قضائه على المتعصبين الشيعيين ، و هذا هو الوازع المباشر لعدم العثور على نص مناظراتي كامل.

٤ – المقـــامات :

إن كل من تلفظ بكلمة مقامة ، يتراءى له لا محالة المنوال الهمذاني والملموس منه القالب القصصي و الذي عد أسلوبه أحد أهم الآثار الأدبية و الأقدر على تنمية الفضائل الإنسانية في النفوس ، و تمثيل الأخلاق و تصوير العادات و التقاليد ، ورسم الخلجات ، وهي من شرف عرضها و نبل مقصدها و كرم غايتها تهذّب الطباع ، و ترقق القلوب ، و تدفع الناس إلى الاقتداء بالمثل العليا من الإيمان و الواجب و الحق والتضحية والكرم ، والشرف والإيثار [130] ، و عليه فلهذا النوع النثري من المكانة بين باقي الأنواع ما يعكس درجة أهميته المتحدث عنها سابقا ، كغيره من الأنواع النثرية عرفه المغاربة هو الآخر، ولا سيما في الفترة الصنهاجية منه ، وفيما يلي إدراج نموذج لهذا النوع، و المتمثل في مقامة لابن شرف (-460 هـ) ، ومما جاء فيها : " **جاريت أبا الريان في ذكر أهل النظّام، و منازلهم في الجاهلية والإسلام ، فقال عدد الشعراء أكثر من الإحصاء ، وأشعارهم أبعد من شقة الاستقصاء ، قلت : لا أعنتك بأكثر من المشهورين مثل الضليل و القتيل، و لبيد و عبيد ، والنوابغ و الغني و الأسود بن يعفر و من سواه من العمي ، و ابن الصمة دريد ، و الراعي عبيد ، و زيد الخيل ، و عامر بن الطفيل والفرزدق وجرير ، و**

[130] : ينظر ، قصص العرب ، إبراهيم شمس الدين ، ج 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1423 هـ - 2002م ، ص 03 .

جميل و كثير ، و ابن جندل و ابن مقبل ، و جرول والأخطل ، وحسان في أهاجيه و مدحه ، و غيلان في ميته وصيدحه، و الهذلي أبي ذؤيب، وسحيم و نصيب ، و ابن حلزة الوائلي ، و ابن الرقاع العاملي ، و عنترة العبسي ، وزهير العري، وشعراء فزارة و مفلقي بني زوارة، وشعراء تغلب ويثرب وأمثال هذا النمط الأوسط ، كالرماح و الطماح و الطثري .... و من الطبقة المتأخرة في الزمان ، المتقدمة في الاحسان ، كأبي فراس بن حمدان و المتنبي بن عيدان ، و ابن جدار المصري ، و ابن الأحنف الحنفي، و كشاجم الفارسي ، و الصنوبري الحلبي .... ، قال أبو الريان : لقد سميت المشاهير ، وأبقيت الكثير ، قلت : بلى و لكن ما عندك فيمن ذكرت،قال:الضليل مؤسس الأساس و بنيانه عليه الناس ، كانوا يقولون : " أسيلة الخد " حتى قال "أسيلة مجرى الدمع " ،

كانوا يقولون " تامة القامة و طويلة القامة و جيداء و تامة العنق" ، حتى قال " بعيدة مهوى القرط"، و كانوا يقولون في الفرس السابق " يلحق الغزال الظليم " ، حتى قال " قيد الأوابد " ... هذا ما عندي في المتقدمين و المتأخرين على احتقار المعاصر ، و استصغار المجاور ، فحاش الله من الإتصاف، بقلة الإنصاف للبعيد و القريب ، و العدو و الحبيب ، قلت : يا أبا الريان ، وفيت مرور الحدثان ، فلقد سبكت فهما ، و حشيت علما"[131] .

لنلمس معارضة ابن شرف (– 460 هـ) لمقامات بديع الزمان الهمذاني ، و صبه فيها على قالبه ، ومما جاء به في هذه المقامة أخبار الأدباء و ذكر الشعر و الشعراء ، شكلا لكن مضمونا كان المحتوى أدبيا نقديا لا هزليا تهكميا .

[131] : الذخيرة، ابن بسام ، ج 7 – 8 ، ص 137 و 146.

٥- الوصــايــا :

اتفق الدارسون على أن الوصية نوع من الأنواع الأدبية ، لكنهم اختلفوا حول استقلاليته كنوع قائم بذاته ، فمنهم من أدرجه ضمن نوع الرسائل : " و لقد كانت الرسائل و الوصايا مظهر من مظاهر البيان العربي ، فهو ينثر في تضاعيف كتابه قدرا صالحا مختارا منها ، لتكون إماما يحتذى به ، و قالبا يصاغ عليه القول "[132] . لنلمس من هذا القول اعتبار الوصية رسالة ، و مما لا شك فيه أن هذا الاعتبار راجع لكون الوصية هي الأخرى تعتمد على مرسل و متلق ، لكن ليس بالضرورة أن يكون هذا المتلقي غائبا،إذ أننا نجد في كثير من الأحايين لزوم حضور المتلقي حتى يتسنى له تبليغ الوصية ، عكس الرسالة تماما والتي تتطلب غياب المرسل إليه .

كما أننا ألفينا البعض الآخر من الدارسين تشبيهها بالخطبة :" تتشابه الوصايا و المواعظ مع الخطب في المقصد و الهدف ، إلا أن الوصايا تحتاج إلى الإقناع العقلي و الإثارة العاطفية أكثر مما تحتاجه الخطب"[133] ، و إن كان في هذا القول شيء من الصواب،لكنه بقوله أن الوصية تحتاج إلى الإقناع أكثر من الخطبة ، كلام فيه وجهة نظر ، إذ أن الخطبة أولى بأن تحتاج وتعنى بالإقناع ، باعتبار أنها وجهت أصلا لجمهور معين قصد إقناعه في شيء معين،ليكون لزاما على الخطيب أن يأتي بأعلى درجة إقناع تتاح له حتى يصل إلى المرام المطلوب. في حين أن الوصية غرضها الأسمى إعطاء المواعظ والحض على الشيء المراد الحفاظ عليه .

---

[132] : البيان و التبيين ، الجاحظ ، ج 1 ، ص 12.

[133] : النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب ، عبد الحليم حسين الهروط ، ص 6

(1*):هو يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل المعروف بـــ(ابن النحوي)التوزري القلعي نسبة لقلعة بني حماد : توفي سنة 513 ه عن ثمانين سنة بمعنى كانت سنة ميلاده : 433ه ، (عنوان الدارية ،الغبريني ،ص 272).

أما عن حال هذا الفن في الوسط المغربي عامة و الفترة الصنهاجية خاصة ، فإنه صادفنا شح نماذج نمثل بها عنه ، و لم يقع بين أيدينا إلا نص يتيم لصاحبه ابن نحوي (1*). وُجد مقرونا بقصيدته الشهيرة المنفرجة و التي سنذكرها في الفصل الثاني إن شاء الله .

" وهذه القصيدة التي هي الأصل مع وصيته- رحمه الله –رويتا عن الشيخين ،أبي عبد الله بن رحيمة الباني و أبي العباس بن خضر الصدفي رحمهما الله ، و الوصية هي: " **بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الحفيظ ،هذا ما أودع العبد يوسف الرب الذي خلق الأشياء ، ورزق الأحياء،وملك العالمين ، وحفظ السماوات و الأراضين، وأودعه جميع ولد أبيه وأهله وأهل أبيه وأهل أخيه و جميع ما حولهما من نعمه ، وملكها من قسمه ، ظاهرا وباطنا و صير ذلك إلى أمانته وأسلمه إلى رعايته واستحفظه في ذلك كله ، وتبرأ إليه من حوله وقوته ، ولم يرج سوى فضله وطوله ، هو الحفيظ الذي لا يهمل ، الوكيل الذي لا يغفل، العليم الذي لا يجهل ، الجواد الذي لايبخل ، الأول الذي ينعم ويتطول، هو الأخير الذي لا يُزَالُ ولا يتحول ، السالم من سلمه والغانم من علمه والمفلح من كرمه قد رضيه مستودعا ووقف به متحفظا، ولم يحتج معه إلى ما يحتاج إليه من الأمانات وتحصيل التقبيضات ، وانتقال المالات ، في الضروب التصريفات ، فإن الكل تحت قبضته،و الخلق عبيد ربوبيته ، فالتبوؤ إليه تعويض و الثقة به تسليم ، والركون إليه إقرار بالملك،والرجاء إيذان بالنجح وذلك بعد أن ثبتت لديه الشهادات الصادعة، واتضحت لديه البراهين الصادمة على السنة الدلالات ، وفي أمكنة الاحتجاجات بحضرة العدول ، من صحة العقول ، لما كشفت عن وجهها المسفرة و تبدت ضاحكة مستبشرة ، قلبها بقلبه ، ونفذ قضيتها بعزمه و أمكن وثيقتها بجزمه،ومن لموعده المحمود أول الخير و آخره ، وباطن الجود و ظاهره ، بصدق جميل جزائه ، ويلحق جزيل عطائه ، لم يشارك في جود و لم يماثل في الوجود ومن التجأ إليه فقد رشدت مساعيه وسعدت أمانيه ، و استحكمت تدبيراته واستكملت تمييزاته وحسن النظر لنفسه ، وبلغ الغرض بحسه ،اشهد العبد يوسف المذكور على هذا الإيداع الموصوف ، الرب المودع وحده فلا شاهد بعده وأمضى على نفسه حكمه فلا يخاف أحد ظلمه قد رضيه ربا و عبده عبدا و ذلك بعد أن قرأ ما سطره و عرف سره و جهره ، و هو صحيح العقل جيد النقل نافذ الميز في تاريخ لا ينساه المودع ولا يتعداه في ساعة المراد في يوم الرشاد في شهر التوفيق من عام التحقيق و حسب المودع في وديعته من أودعه و عليه أوقف رغبته و تضرعه و لم يشار دامعه ، بل أفرده وصرف إليه الهَّمَ أجمعه أسأل الله أتم الصلاة وأزكاها و أعم البركات و أنماها ، لرسوله محمد المصطفى و آله و سلم تسليما"**[134] .

---

[134] : عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 279.

٦- الأمثال و الحكم :

و مما لا يخفى على أحد ، أن هذا النوع من الأدب يتطلب صنعة بلاغية ومقدرة أدبية ، ناهيك عن النظرة الثاقبة و التي لابد من توافرها في مبدعها ، ومن مياسمها أنها من قبيل الكلام المخطوم شديد الايجاز ، يكثر فيها الحذف و الإيماء ، و تتصف عموما بمتانة السبك ، و جودة التقييم ، مع الميل إلى النسق الإنشائي العالي مع تقديم القيود على المقيدات،والمسند على المسند إليه[135] ، و إن كان الميل إلى وضعها في قالب سجعي هو الغالب عليها ، لا لشيء إلا للتأثير في السامع ، فقد كان هذا أسلوب الخطباء و رجال الدين ، به يرسلون عظاتهم و ينثرون حكمهم [136] . أما عما سار على هذا المنوال في الفترة الصنهاجية ، ما روي لابن شرف (- 460 هـ) من حكم ، ومن ذلك :

*** العالم مع العلم كالناظر في البحر يستعظم منه ما يرى و الغائب عنه أكثر .**

*** لولا التسويف لكثر العلم .**

*** الفاضل في زمان السوء كالمصباح في البراح ، قد كان يضيء لو تركته الرياح .**

*** القمر آخر إبداره أول إدباره.**

*** لتكن بقليلك أغبط منك بكثير غيرك ، فإن الحي برجليه و هما اثنان أقوى من الميت على أقدام الحملة و هي ثمان .**

*** التعليم فلاحة الأبدان ، و ليس كل أرض منبتة .**

*** الحازم من أيقن فبادر و شك فروى .**

*** قول الحق من كرم العنصر كالمرأة كلما كرم حديدها أدت حقائق الصفات .**

*** رب سامح بالعطاء على باخل بالقبول .**

*** ليس المحروم سأل فلم يعط ، و إنما المحروم من أعطي فلم يأخذ .**

*** ابن آدم تَذُمُّ أهل زمانك، و أنت منهم كأنك وحدك البريء ، و كلهم الجريء ، كلا بل جنيت، و جني عليك فذكرت ما لديهم و نسيت ما لديك .**

---

135 : ينظر ، تطور الأساليب النثرية ، أنيس مقدسي ، ص 93.

136 : المرجع نفسه ، ص 19.

***اعلم أن الفاضل الذكي الذي لا يرفع أمره أو يظهر قدره ، كالسراج لا تظهر أنواره أو يرفع مناره الناقص الذي لا يبلغ إلى نقصه إلا بوضعه ، كهرجل السفينة لا ينتفع بضبطه ، إلا بعد الغاية من حطه .**[137]

أما فيما تعلق بالأمثال ، فإن عدم وقوفنا على نصوص لها حال دون إيرادنا لأمثلة لها.

و هكذا و من خلال النصوص المستشهد بها آنفا ، يمكننا القول أن أنواع النثر الفني في الفترة الصنهاجية يكاد يكون مماثلا ، لما عرف في الجزيرة العربية ، و التي تمثلت في الخطب و الرسائل و الوصايا و هلم جرا ، و قد جاء ايرادنا للنماذج متراوحا بين ما كان من باب المفاضلة والانتقاء حينا ، وما كان من باب القصر و الجبر أحايين أخراة، و على الرغم من هذا كله ، فإن هذه النصوص عكست لنا و بصورة واضحة ، الدرجة المشرفة للمستوى الأدبي الذي وصل إليه ابداع الفترة الصنهاجية .

[137] : الخريدة ، الاصفهاني ، ج 2 ، ص 174.

الفصل الثاني:

الأغراض الشعرية في الفترة الصنهاجية و أنواعها

- تمهيد

١ – الغزل

٢–المدح

٣– الرثاء

٤ –الوصف

٥ – الهجاء

٦ –الفخر

٧ – الشوق و الحنين

٨– العتاب و الشكوى

٩ – الشعر الدين

تمهيد :

إن أي حديث عن أدب ما ، يقودنا لا محالة للحديث عن شعره ، باعتباره الوجه الثاني للعملة نفسها ، كما لا يخفى على أحد كم سود هذا الفن الأدبي من صحف وأسال من أقلام بحثا عن ماهيته وتحديدا لأغراضه وأساليبه ، ولاسيما عند الباحثين قدامى منهـــم ومحدثين .

ومما قاله القدامى عن الشعر، قول النهشلي:" ولما رأت العرب المنثور يند عليهم ويتفلّت من أيديهم، و لم يكن لهم كتاب يتضمن أفعالهم، فدبروا الأوزان و الأعاريض ، فأخرجوا الكلام أحسن مخرج بأساليب الغناء، فجاءهم مستويا، ورأوه باقيا على مر الأيام فألفوا ذلك فسموه شعرا"[138] ، فقد عَدَّ عبد الكريم الشعر ضرورة لازمة لحفظ آثارهم الأدبية ، وذلك لما يضبطه من أوزان وقواف ، تضمن له تلك النبرة الموسيقية في أذن السامع ، وذلك حتى يتسنى له الحفظ السريع . أما ابن خلدون فيقول عن الشعر:"هو كلام مفصل قطعا قطعا ، متساوية في الوزن متحدة في الحرف الأخيرة من كل قطعة في هذه القطعات عندهم يسمى بيتا ويسمى الحرف الأخيرة الذي تتفق فيه رويا وقافية ويسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة"[139] ليذهب ابن خلدون بقوله هذا إلى وصف ما نعنيه بالشعر ،وإعطائه للمياسم التي يتسم بها ، فتميزه بذلك عن باقي الفنون الأدبية الأخرى الأدبية.

ومن المحدثين، ما قاله عز الدين إسماعيل : " فن الشعر من أشهر الفنون الأدبية وأكثرها انتشارا ، و ربما كان ذلك لقدم عهد البشرية به ،فالشعر هو الصورة التعبيرية الأدبية الأولى التي ظهرت في حياة الإنسان منذ العصور الأولى ، و هذه الأقدمية التي للشعر ترجع إلى أنه كان في تلك العصور ضرورة حيوية بيولوجية"[140] ، فأرجع سبب الانتشار الواسع لهذا الفن الواسع ، إلى الحاجة للتعبير عن خلجات صدور الناس ، أما شوقي ضيف فقال : " هو صناعة تجتمع لها في كل لغة طائفة من المصطلحات والتقاليد"[141]، فجاءت بذلك مفاهيم الباحثين للشعر ، متعددة و متنوعة ، مرد ذلك النطاق الواسع الذي يحتله الشعر . و بغض النظر عما قيل عن المفاضلة بين الشعر و النثر ، و ميل العديد من الباحثين ولاسيما النقاد منهم إلى كفة الشعر، فإن لعبد الملك مرتاض رأي سديد عن هذه القضية ، زانه الإتزان ، و في ذلك يقول : " و الحق أن الرؤية الفنية تغيرت رأسا على عقب ، فإن المفاضلة تزول نهائيا بين الشعر و النثر و يغتدي

---

[138] : الممتع في صنعة الشعر ، عبد الكريم النهشلي،ت.زغلول عبد السلام، منشأة المعارف، د. ط ، د . ت ، الاسكندرية ، ص 6 .

[139] :المقدمة ، ابن خلدون ، ج 1 ، ص 630 .

[140] : الأدب و فنونه ، عز الدين إسماعيل ، ص 81.

[141] : الفن و مذاهبه في الشعر ، شوقي ضيف ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف ، مصر ، ط 8 ، ص 13.

لكل جنس منهما وظيفته التبليغية ، ومكانته الفنية،ضمن أشكال التبليغ القائمة على التماس الجمال الفني ابتغاء التأثير في المتلقن بحيث نلفي الشعر يستأثر بحقول لا ينبغي للنثر التطاول عليها ، بله الاستئثار بها ، فيرتد عنها كليلا حسيرا"[142]، فلا يجوز لنا ترجيح كفة النثر على الشعر و العكس صحيح ، لأن لكل فن منهما مياسمه التي يتسم بها و كينونته الخاصة به و إن كان ما زاد من قدر الشعر نظرة الناس إليه إلى أنه فن رفيع ممتاز ، ذو وظيفة اجتماعية تكاد تكون رسية به موضوعات خاصة و أوزان وتقاليد معينة [143] .

و مما لا شك فيه أن البيئة المغربية القديمة كغيرها من البيئات البشرية ، عرفته كفن أدبي،ولاسيما في فترتها الصنهاجية ، و عرفت غالب أغراضه ، و منها :

أ- الغـــــــزل :

---

[142] : الأدب الجزائري القديم ، عبد الملك مرتاض ، ص 81.

[143] : ينظر ، تاريخ الشعر العربي ، د . محمد عبد العزيز الكفراوي ، ج 3 ، دار النهضة للطبع و النشر ، ط 1 ، 1967م، ص 90.

و قد عُدَّ هذا الغرض أشهر الأغراض الشعرية ، باعتباره أقدمهم ، و عنه قال ابن رشيق:"حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ رسلها ، قريب المعاني سهلها ، غير كز و لا غامض ، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر الماء ، لين الأثناء ، رطب المكر ، شفاف الجوهر ، يطرب الحزين و يستخف الرصين "[144]، فكأني بصاحب العمدة لم يرد لنا تعريفا لما يعنيه بالغزل كغرض شعري ، إشارة منه لشهرته و ذياع صيته ، و راح يعدد لنا صفاته حتى يرقى لدرجة التأثير في الحزين و النشوان ، في حين أننا نجد ابن خلدون يذهب بهذا الغرض مذهبا آخر،حيث يقول : "و اعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به ، عند أهله ، ولا تصلح للفن الآخر ، و لا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر"[145]، فقد قال عن الغزل أسلوب شعري و لم يقل بأنه غرض و إن كان ذلك هو المعمول به منذ أن عرف كغرض شعري منذ القدم ، و من نماذج هذا الغرض في فترته الصنهاجية :

– ما قاله ابن قاضي ميلة (* 1) ، في قصيدة طويلة متغزلا منها :

و لما الْتَقَيْنَا مُحْرِمِينَ وَ سَيَرْنَا ... بلَبَيْكَ رَبًا وَ الرَّكَائبُ تُسْعَفُ
نَظَرْتُ إلَيْهَا وَ الْمَطِي كَأَنَمَا ... غَوَارِبُهَا منْهَا مَعَاطِسُ رُعَّفُ
فَقَالَتْ : أَمَا منْكُنَّ مَنْ يَعْرِفُ الْفَتَى ... فَقَدْ رَابَنِي منْ طُولِ مَا يَتَشَوَقُ
أَرَاهُ إِ ذاَ سرْنَا يَسيرُ حَذاءَنَا ... وَ نُوقفُ أَخْفَاف الْمَطِي فَيُوقفُ
فَقُلْتُ لتَرِيبَتَيْهَا:أَبْلغَاها بأَنَنِي ... بهَا مُسْتَهامُ قَالَتَا:نَتَلَطَـــــفُ
وَ قُولاَ لَهَا : يَا أُمَّ عَمْرُو أَلَيْسَ ذَا ... مني وَ الْمُنَى في خيفَة لَيْسَ يُخْلفُ
تَفَاءَلَتُ فِي أَنْ تَبْذُلِي طَارِفَ الْوَفَا ... بِأَنْ عَنَّ لِي مِنْكِ الْبَنَانُ الْمُطْرَفُ
وَ فِي عرَفَاتَ مَا يُخْبِرُ أَنَنِي ... بعَارِفَةٍ منْ عَطْف قَلْبك أُسْعَفُ
وَأَمَّا دمَاءُ الْهَدْيِ فَهِيَ هُدًى لَنَا ... يَدُومُ وَ رَأْيٌ فِي الْهَوَى يَتَأَلَفُ
وَ تَقْبيلُ رُكْنِ الْبَيْت إقْبَالُ دَوْلَةٍ ... لَنَا وَ زَمَانٌ بالْمَوَدة يَعْطِـــــفُ
فَأَوْصَلَتَا مَا قُلْتُهُ فَتَبَسَمَتْ ... وَ قَالَت : أَحَاديثُ الْعيَافة زُخْرُفُ
بعَيْشِي أَلَمْ أُخبِرْكُمَا أَنَّهُ فَتَى ... عَلَى لَفْظه بَرْدُ الْكَلَامِ الْمُنُوَفُ[146]

---

[144] : العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، ابن رشيق القيرواني ،ت – عبد القادر أحمد عطا ، ج 2 ، منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط 1 ،1422ه – 2001م ،ص 81.

[145] : المقدمة ، ابن خلدون ، ج 1 ، ص 628

(*1) : جاء في الأنموذج أنه شاعر لسن ، يؤثر الاستعارة و يسلك طريق ابن أبي ربيعة ، لكن لم تورد أيا من المصادر سنة لميلاده ووفاته ،سوى ما جاء به رابح بونار في تاريخ المغرب ، ص 320 ، أنه قد توفي أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس هجري .

- و في هذا الغرض نفسه ، يقول محمد بن جعفر أبو عبد الله التميمي النحوي القيرواني والمعروف بالقزاز (*1) :

أَمَا وَ مَحَلُ حُبِكَ مِنْ فُؤَادِي	**وَ قَدرُ مَكَانه فيه الْمَكِينُ**
لَوْ انْبَسَطَتْ لِي الآمَاُل حَتَى	**تصيرَمنْ عنَانكَ فِي يَمِينِي**
لَصُنْتُكَ فِي مَحَلِ سَوَادِ عَيْنِي	**وَ خِطْتُ عَلَيْكَ مِنْ حَذَرٍ جُفُونِي**
فَأَبْلُغَ منْكَ غَايَات الْأَمَانِي	**وَ آمَنُ فِيكَ آفَات الظُنُون**
فَلِي نَفْسٌ تَجُوعُ كَلَّ حِينٍ	**عَلَيْكَ بِهِنَ كَاسَات الْمَنُونِ**
إِ ذَا أَمِنَتْ قُلُوبُ النَّاسِ خَافَتْ	**عَلَيْكَ خَفِيَ أَلْحَاظ الْعُيُون**
وَ كَيْفَ وَ أَنْتَ دُنْيَايَ وَ لَوْلَا	**عِقَابُ اللهِ فِيكَ لَقُلْتُ دِينِي**[147]

– قال أبو إسحاق الحصري (*2) متغزلا بالغلمان :

أَوْرَدَ قَلْبِي الرَّدَى	**لَامُ عَذَارٍ بَدَا**
أَسْوَدُ كَالْكُفْرِ فِي	**أَبْيَضَ مِثْلَ الْهُدَى**[148]

و قوله أيضا متغزلا :

وَ لَقَدْ تَنَسَمْتُ الرِّيَاحَ لَعَلَنِي	**أَرْتَاحُ أَنْ يَبْعَثْنَ مِنْكَ نَسِيمَا**
فَأَثَرْنَ مِنَ حَرْقِ الصَّبَابَةِ كَامِنًا	**وَ أُذْعِنَ مِنْ سِّرِ الْهُدَى مَكْتُومَا**
وَ كَذَا الرِّيَاحُ إِذَا مَرَرْنَ عَلَى لَظَى	**نَارٍ خَبَتْ ضَرَّمْنَهَا تَضْرِيمَا**[149]

– و مما قاله ابن رشيق (386هـ-456هـ) متغزلا بالغلمان :

لِمَ بَاحَ بِاسْمِي بَعْدَمَا كَتَمَ الْهَوَى	**زَمَنًا وَ كَانَ صِيَانَتِي أَوْلَى بِهِ**
فَلَأَمْنَعَنَ جُفُونَهُ طِيبَ الْكَرَى	**وَ لَأَمْزَجَنَ دُمُوعَهُ بِشَرَابِهِ**

---

[146] : أنموذج الزمان في شعراء القيروان ، ابن رشيق القيرواني ، ت – محمد العروسي و بشير البكوش ، الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1406هـ – 1986م ، ص 212.

(*1) : كان الغالب عليه علم النحو و اللغة ، و كان مهيبا عند الملوك و له شعر جيد مطبوع و مصنوع (انباه الرواة، القفطي ، ج 3 ، ص 84) ، و قد توفي بالحضرة ، سنة اثنتي عشرة و أربعمائة وقد قارب التسعين (الأنموذج، ابن رشيق ، ص 369).

[147] : انباه الرواة على أنباء النحاة ، القفطي ، ت – محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج 3 ، ط 1 ، 1406هـ -1986م، ص 85.

(*2) : هو أبو اسحاق بن علي بن تميم الأنصاري المعروف بالحصري صاحب زهر الآداب ، مات بالمنصورة عام 413هـ و قد جاوز الأشد (الأنموذج ، ص 46) .

[148] : الذخيرة ، الشنتريني ، ج 7 – 8 ، ص 378 .

[149] : أنموذج الزمان ، ابن رشيق القيرواني ، ص 47.

وَ حَيَاةُ حَاجَتِهِ إِلَيَّ وَ فَقْدُهُ   لَأُوَاصِلَنَّ عَذَابَهُ بِعَذَابِهِ [150]

و قوله أيضا :

وَ فَاتِنِ الأَجْفَانِ ذِي وَجْنَةٍ   كَأَنَّهَا فِي الحُسْنِ وَرْدَ الرِّيَاضِ
قُلْتُ لَهُ يَا ضَبْيُ خُذْ مُهْجَتِي   دَاوِ بِهَا تِلْكَ الجُفُونِ المِرَاضِ
فَجَاوَبَتْ مِنْ خَدِّهِ خَجْلَةً   كَيْفَ تَرَى الحُمْرَةَ فَوْقَ البَيَاضِ [151]

– قال : عبد العزيز بن خلوف النحوي القيرواني (*1) :

مُرُوا أَنْ يَرُوحَ هَذَا الأَسِيـــ   رُ بِالقَتْلِ إِنْ كَانَ لَا يُطْلَقُ
أَيَتْلَفُ ذَا العَبْد لَا رَغْبَةً   يُبَاعُ وَ لَا حِسْبَةً تُعْتَقُ
وَ إِنِي مِنْ فَقْرِهِ مَوْتُهُ   لِأَنِي مِنْ كَبِدِي أُنْفِقُ
لَقَدْ فَتَقْتَ بِذِي سِحْرِ العُيُو   نِ فَتْقًا عَلَى العَقْلِ لَا يُرْتَقُ [152]

– و لأبي الحسن بن عبد الغني الحصري الضرير(فراره إلى القيروان عام 450هـ) قصيدة غزلية يقول في مقدمتها :

يَا لَيْلُ الصَّبُ مَتَى غَدُهُ   أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ؟
رَقَدَ السَّمَارُ فَأَرَّقَهُ   أَسَفٌ لِبَيْنٍ يُرَدِّدُهُ [153]

– و يقول منها :

لَمْ يُبْقِ جَفَاكَ سِوَى نَفَسٍ   زَفَرَاتُ الشَّوْقِ تُصَعِّدُهُ
هَارُوتُ يُعَنْعِنُ فَنَّ السِّحْـــ   رِ إِلَى عَيْنَيْكَ وَ يُسْنِدُهُ
وَ إِذَا أَغْمَدْتُ اللَّحْظَ فَتَكَ   تْ فَكَيْفَ وَ أَنْتَ تُجَرِّدُهُ

– و منها :

كَمْ سَهَّلَ خَدُكَ رِضَا   وَ الحَاجِبُ مِنْكَ يُعَقِّدُهُ

---

[150] : ديوان ابن رشيق القيرواني ، ت – محي الدين ديب ، إشراف ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت، ط 1 ، 1418هـ -1998م ، ص 49.

(*1) : جاء ذكره في الأنموذج ، ص 162و الانباه ، ص 180. أنه شاعر متقن ذو ألفاظ حسنة و معان متمكنة وقيل أنه من معاصري ابن شرف و ابن رشيق ، دون ذكر سنة ميلاده ووفاته .

[151] : المصدر نفسه ، ص 87ذ

[152] : انباه الرواة ، القفطي ، ت . محمد ابراهيم ، ج 2 ، ط 1 ، 1406 هـ - 1986 م ، ص 182 .

[153] : وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ت . احسان عباس ، مج 3 ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، د .ط ، د .ت ، ص 332 .

مَا أُشْرِكَ فِيك القَلْبُ فَلِمَ ... فِي نَارِ الهَجْرِ تُخَلِّدُهُ [154]

- قال الملك يحيى بن تميم بن المعز بن باديس(-509هـ) صاحب المهدية متغزلا :

سُعَادُ أَلَمَّتْ بِي ... سَتَمْحُو البُعْدَ بِالْقُرْبِ
كَبَدْرٍ تَحْتَهُ غُصْنٌ ... عَلَى حقَف مِنَ الكُثُبِ
فَحُلْتُ فِي حِمَى قَلْبِي ... عَلَى التَّأْهِيلِ وَ الرَّحَبِ

وقال:

وَجَاهَلَة بِالْحُبِ لَمْ تَدْرِ طَعْمَهُ ... وَقَدْ تَرَكْتَنِي أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْحُبِ
أَقَامَتْ عَلَى قَلْبِي رَقِيبًا وَحَرسًا ... فَلَيْسَ لَدَان مَنْ سِوَاهَا إِلَى قَلْبِي
أَدَرْتُ الْهَوَى حَتَى إِذَا صَارَ كَالرَّحَا ... جَعَلْتُ لَهُ قَلْبِي بِمَنْزِلَةِ القُطْبِ[155]

- وقال الأمير تميم بن معز هو الأخر متغزلا: (422 هـ - 511 هـ)

وَإِنْ نَظَرَتْ مُقْلَتِي إِلَى مُقْلَتِيَها ... تَعْلَمُ مِمَّا أُرِيدُ نَجْوَاه
كَأَنَّهَا فِي الْفُؤَادِ نَاظِرَةً ... تَكْشِفُ أَسْرَارَهُ وَفَجْوَاهُ

وقال :

سَلِ الْمَطَرَ الْعَامَ الَّذِي عَمَّ أَرْضَكُمْ ... أَجَادَ بِمِقْدَارِ الَّذِي فَاضَ مِنْ دَمْعِي
إذ كنت مطبوعا على الصد و الجفا ... فمن أين لي صبر فجعله طبعي [156]

- قال أبو الفضل جعفر بن شرف (- 460هـ) متغزلا :

قَامَتْ تَجُرُّ ذُيُولَ الْعَصَبِ وَ الحَبَرِ ... ضَعِيفَةَ الخَطْوِ وَ الْمِيثَاق وَ النّظَرِ
تَخْطُو فَتُولِي الحَصَا مِنْ حَلْيِهَا نُبَذَا ... وَ تُخْلطُ العَنْبَرَ الوَرْدِيَ بِالْعَفَرِ
غَيْرِي يُخْلِي بِمَا تُبْدِيه مِنْ قَلَقٍ فِي ... الوَشَحِ أَوْ غَصَصٌ تُخْفِيه فِي الأَرْزِ
لَمْ أَدْرِ هَلْ حَنَقَ الخُلْخَالَ مِنْ غَضَبٍ ... عَلَيْه أَمْ لَعِبَ الزِّنَارُ مِنْ أَضرِ
تَلَفَتَتْ عَنْ طَلَى وَ سِنَان وَ ابْتَسَمَتْ ... عَنْ وَاضِحٍ مِثْلَ تَوْرِ الرَّوْضَةَ العَطِرِ
إِنْ نِلْتُ رِيَاهُ لَمْ أَطْمَعْ بِمَطْمَعِه ... لِأَنَ رَوْضَ الصبَا نُوْر بِلَا ثَمَرِ
مَا لَذَّ لِلْعَيْنِ نَوْمٌ بَعْدَمَا ذَكَرْتُ ... لَيْلًا سَمرْنَاهُ بَيْنَ الضَّالِ وَ السَّمَرِ
تَسَاقَطَ الطَلُّ مِنْ فَوْقِ النُّحُورِ بِهِ ... تَسَاقُطَ الدُّرِ فِي اللَّبَاتِ وَ الثَّغَرِ

---

[154] : المصدر نفسه ، ص 333

[155] : الخريدة ، الأصفهاني ، ج 1 ، ص 144 .

[156] : وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، مج 1 ، ص 305 .

وَ مَفْرِقُ اللَّيْلِ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ	**فَبِتُّ أَدْعُو لَهُ بِالطُولِ فِي العُمُرِ**
وَ اللَّيْلُ يُعْجِبُ وَ الظَّلْمَاءُ دَاجِيَةٌ	**مِنْ سَاهِرٍ يَتَشَكَى اللَّيْلَ بِالْقِصَرْ**
فَبِتُ أَجْزَعُ مِنْ لَيْلٍ بِوَاضِحِهِ	**تَبْدُو وَ أَبْخَلُ مِنْ رَوْضٍ عَلَى سَحَرٍ**[157]

- و آخر نماذج هذا الغرض ، نورد أبياتا غزلية رويت للفقيه أبو حفص عمر بن فلفول(*1) :

قَالُوا نَأَى عَنْكَ الْحَبِيُب فَمَا الَّذِي	**تَرَاهُ إِ ذَا بَانَ الْحَبِيبُ الْمُوَاصِلُ**
فَإِنْ أَنْتَ أَحْبَبْتَ الَّتَصُبَر بَعْدَهُ	**وَ لَمْ تَسْتَطِعْ صَبْرًا فَمَا أَنْتَ فَاعِلُ**
فَإِنَّ الْهَوَى مَهْمَا تَمَكَنَ فِي الْحَشَا	**وَ حَلَّ شِغَافَ الْقَلْبِ لَيْسَ يُزَايِلُ**
فَكَمْ رَامَ أَهْلُ الحُبِّ قَبْلَكَ سُلْوَةً	**زَادَهُمْ عَنْهَا هَوًى مُتَوَاصِلُ**
فَقُلْتُ : أَلَا لِلصَّبْرِ مَفْزَعُ عَاشِقٍ	**وَ لِلصَّبْرِ أَحْرَى بِهِ وَ إِنْ غَلَّ غَائِلُ**
سَأَصْبِرُ حَتَى يَفْتَح اللهُ فِي الْهَوَى	**بِصِلِّ حَبِيبٍ طَاَل فِيهَا الطَّوَائِلُ**[158]

لقد شغل النسيب الحيز الأكبر مما روته لنا المضان التي عنيت بشعر هذه الفترة المدروسة ، ولا سيما العماد الأصفهاني في خريدته ناهيك عما ضاع من أدب مغربي قديم بما فيه شعره، و إن كان ذلك ، لصورة عاكسة لما احتله هذا الغرض وسط باقي الأغراض الشعريـــة الصنهاجية

٢- المـــــــــــدح:

هو أحد أشهر الأغراض الشعرية ، و عنه قال ابن رشيق : "و سبيل الشاعر إذا مدح ملكا أن يسلك طريقة الإفصاح و الإشادة بذكر الممدوح ، و أن يجعل معانيه جزلة و ألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية و يجتنب مع ذلك التقعير و التجاوز و التطويل ، فإن للملك سآمة وضجرا ربما عاب لأجلها ما لا يعاب و

[157] : الخريدة ، الأصفهاني ، ج 1 ، ص 17.

(*1) : هو كاتب السلطان الحمادي يحيى بن عبد العزيز (هذا ما جاء عنه في الخريدة ، ج 2 ، ص 176) ، دون إيراد سنة ميلاده ووفاته .

[158] : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 179.

حرم من لا يريد حرمانه "[159] ، فقد راح ابن رشيق يعطي أهم ما يلزم للمديح أن يتسم به باعتباره هو شاعر أيضا ، و من هذا المنطلق فهو أدرى بما يحبذ أن يحويه هذا الغرض .

و في الغرض نفسه ، يقول أستاذه النهشلي أنه لابد على هذا الغرض أن يكون جامعا لخصال المديح[160] ،حتى ينأى بذلك عن أي مراء أو كذب .

و قد أدلى عبد الملك مرتاض بدلوه هو الآخر حول هذا الغرض حيث قال : " و لعل هذا النوع الشعري ، أن يكون ألزم الأنواع لشعراء العرب القدامى فلم نكد نظفر بشاعر شهير إلا مدح الخلفاء و الأمراء و الأشراف ، أو قل ببساطة ، إنه مدح الأغنياء إما طمعا في بعض مالهم و هو الأظهر من الأطوار ، و إما إعجابا بشهامتهم و خلالهم أو كرامتهم ومآثرهم،وهو الأقل من الأحوال "[161] ، و إننا لنجد فيما خلفه لنا العرب من دواوين صدق ما ذهب إليه عبد الملك مرتاض، فإننا لا نكاد نطّلع على واحد منها إلا وجدناه قد حوى على هذا الغرض (خاصة ما جاء في باب التكسب) . و من نماذج ما قيل من مدح في الفترة الصنهاجية :

- بداية مع القاضي ابن الربيب التاهرتي (- 420هـ) ، حين قال مادحا محمد بن أبي العرب:

وَ لَمَا الْتقَى الجَمْعَان وَ اسْتَمْطَرَ الأَسَى ... مَدَامِعُ مِنَّا تَمْطُرُ الْمَوْتَ وَ الدَّمَا

لَدَى مَأْتَمٍ لِلْبَيْنِ غَنَى بِهِ الْهَوَى ... بِشَجْوٍ وَ حَنَّ الشَّوْقُ فِيهِ فَأَرْزَمَا

تَصَدَّتْ فَأَشْجَتْ ثُمَّ صَدَّتْ فَأَسْلَمْتَ ... ضَمِيرَكَ لِلْبَلْوَى عَقِيلَةَ أَسْلَمَا[162]

- و قال اسماعيل بن إبراهيم القيرواني (*1) في قصيدة مدح فيها المعز بن باديس الصنهاجي، يقول منها:

وَلِضهُ ذُؤَابَةُ حِمْيَرَ وَ سَنَاؤُهَا ... وَ سَنَامِ يَعْرُبَ الرَّفِيعُ العَالِي

وَ يَحُلُّ فِي قَحْطَانَ أَعْلَى ذُرْوَةً ... يَعْيَا مُحَاوِلُهَا وَ لَيْسَ بِآلِ

مَا زَالَ يَبْتَاعُ العُلاَ مُتَعَالِيًا ... إِنَّ العُلَا وَ أَبِيكَ عِلْقٌ غَالِ

أَضْحَتْ بِهِ الدُّنْيَا عَرُوسًا تُجْتَلَى ... وَ تَبَجَّلَتْ عَنْ زَهْرَةِ الآمَالِ

---

[159]: العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، ج 2 ، ص 77.

[160] : ينظر ، الممتع في صنعة الشعر ، عبد الكريم النهشلي ،ص 07.

[161] : الأدب الجزائري القديم ، عبد الملك مرتاض ، ص 64.

[162] : انباه الرواة ، القفطي ، ج 1 ، ص 304.

(*1) : ولد بزويلة : الرملة (المهدية)، تقدم في علم الغريب و طلبه ، و طريقته في الشعر طريقة العلماء ، كان حيا عام 420 هـ لمدحه المعز بن باديس (انباة الرواة ، القفطي ، ج 1 ، ص 228.)

وَ إِذَا تَرَاءَى لِلْعُيُون بَدَا لَهُ — سَعْدَ السَّعُودِ وَ طَائِعَ الإِقْبَالِ
بَذَّ المُلُوكَ جَلَالَةً وَ مَهَابَةً — وَ عَلَا عَلَى النُّظَرَاءِ وَ الأَشْكَالِ[163]

– و ما روي مدحا قول يوسف بن مبارك في بني حماد :

هَنَاكُمُ النَّصْرُ وَ نَيْلُ النَّجَاحِ — فِي يَوْمِكُمْ هَذاَ بِسُمْرِ الرِّمَاحِ
فَأَنْتُمْ الصَّيِّدُ الكِرَامُ الآلِي — شَادُوا العُلَا بِالنَّائِلِ المُسْتَمَاحِ
مَا مِنْكُمْ إِلَا هُمَاَّم حَوَى — مُنَاقِبًا جُلِيَ وَ مَجْدًا صُرَاحِ
لَا تَرْهَبُونَ الدَّهْرَ أَعْدَاءُكُمْ — وَ تَمْنَعُونَ العِرْضَ عَلَى أَنْ يُبَاحَ
وَ تَبْذُلُونَ الرِّفْدَ يَوْمَ النَّدَى — وَ تُسْعِرُونَ الحرْبَ يَوْمَ الكِفَاحِ
وَ تَرْفَعُوَن الجَارَ فَوْقَ السُّهَى — وَ تُكْرِمُونَ الضَّيْفَ مَهضمَا اسْتَمَاحَ
لَا زِلْتُمْ تَجْنُونَ زَهْرَ العُلاَ — فِي مَعْرَضِ العِزِّ بِحَدِّ الصَفَاحِ[164]

- قال عبد الغني الحصري القيرواني الضرير (فراره من القيروان عام 450هـ) ، مادحا القاضي أبا مروان بن حسون :

سَهْلُ الأَبَاطِحِ مِنْ عُلَاكَ يَفَاعُ — وَ النَّجْمُ أَنْتَ وَ كَفُّكَ المِرْتَاعُ
بل أنت شَمْسٌ لَا تَزَالُ وَ لَمْ تَزَلْ — فِي سَائِرِ الآفَاقِ مِنْكَ شُعَاعُ
مَنْ يَخْتَلِفْ كُلَّ الوَرَى فِي حُبِهِ — فَأَبَوْ المَطَرِف حُبِهِ اجْمَاعُ
شَهِدَتْ عُقُولُ العَالَمِينَ بِفَضْلِهِ — فَسَوَاءُ الأَعْدَاءُ وَ الأَشْيَاعُ
مِصْبَاحُ مَالْقَةَ أَرَادَ خُمُودَهُ — قَوْمٌ لِيَرْتَفِعُوا وَ هُمْ أَوْضَاعُ
فَالْعَامُ لَمْ يَكْمُلْ لِعُزْلَتِهِ بِهَا — حَتَى عَلَتْ يَدُهُ وَ طَالَ البَاعُ
اُنْظُرْ إِلَيْهِ اليَوْمَ كَيْفَ أَصَابَهُ — صرْفُ الزَمَانِ لَيْسَ عَنْهُ دِفَاعُ
لَوْلَا إِسَاءَتُهُ إِلَيْكَ وَ ظُلْمُهُ — لعدًا وَ أَنْتَ لَهُ يَدٌ وَ ذِرَاعُ
بَيْنَ ابْنِ حَسُونَ وَ شَعْبِيِّ الهُدَى — مَنْ ثَدْيِ خَالِصَةِ الإِخَاءِ رَضَاعُ
يَا مَا أَجَلُهُمَا وَ أَشْبَهَ ذَا بِذَا — حَسُنَتْ وُجُوْهِ مِنْهَا وَ طِبَاعُ[165]

---

[163] : المصدر نفسه، ج 1 ، ص 228.

(*1) : ولد بزويلة : الرملة (المهدية)، تقدم في علم الغريب و طلبه ، و طريقته في الشعر طريقة العلماء ، كان حيا عام 420 هـ لمدحه المعز بن باديس (انباة الرواة ، القفطي ، ج 1 ، ص 228.)

[164] : الخريدة ، الأصفهاني ، ج 1 ، ص 183.

[165] : الذخيرة ، ابن بسام الشنتريني ، ج 7 – 8 ، ص 195.

- أنشد الحسن بن رشيق القيرواني (390هـ - 456هـ) ، مادحا الأمير تميم بن المعز :

أَصَحُّ وَ أَقْوَى مَا سَمِعْنَاهُ فِي النَّدَى مِنَ الخَبَرِ الْمَأْثُورِ مُنْذُ القَدِيمِ

أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا السُّيُول عَنِ الحَيَا عَنْ الْبَحْرِ عَنْ كَّفِ الأَمِيرِ تَمِيمِ[166]

و قال يمدح المعز بن باديس :

ذُمَّتْ لِعَيْنَيْكَ أَعْيُنُ الغِزْلَانِ قَمَرٌ أَقَرَّ لِحُسْنِه القَمَرَانِ

وَ مَشَتْ وَ لَا وَ اللهِ مَا حُقِفَ الَّنضقا ممَا أَرَتْكَ وَ لَا قَضِيبُ البَانِ

وَثَنُ الْمَلاحَةِ غَيْرَ أَنَّ دِيَانَتِي تَأْبَى عَلَيَّ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ

يَا ابْنَ الأَعِزَّةِ مِنْ أَكَابِرِ حِمْيَرِ وَ سُلَالَةَ الأَمْلَاكِ مِنْ قَحْطَانِ

مِنْ كُلِّ الْبَلَجِ أَمْ بِلِسانِه يَضَعُ السُيُوفَ مَوَاضِعَ التِيجَانِ[167]

- قال عبد الله بن شرف القيرواني (- 460هـ) ، مادحا المنصور حفيد ابن أبي عامر :

مَرّض بِي غُصْنٌ عَلَيْهِ قَمَرٌ مُتَجَلٍ نُورُهُ لَا يَنْجَلِي

هَزَّ عِطْفَيْه فَقُلْنَا إِنَّهُ ذُو الفِقَارِ اهْتَزَ فِي كَفِّ عَلِي

وَ رَأَيْتَ النَّاسَ صَرْعَى حَوْلَهُ فَكَأَّنَ اليَوْمَ يَوْمُ الجَمَلِ

تِلْكَ أَخْبَارُ زَمَانٍ قَدْ مَضَى وَ أُمُورٌ فِي السِّنِين الأَوَلِ

زَمَانُ الْمَنْصورِ قَوِيَ مِنَتِي وَ سَرَى هَمِي وَ أَحْيَا جَذْلِي

وَ سُرُوُر النَّفْسِ مِنْ بَعْد الصِّبَا نَاشِرَ عَصْرِ الصّبَا وَ الغَزَلِ

فَاسْتُطِيبَ العَيْشُ فِي بَلْدَتِه فَكَأَنَّ النَّاسَ فِي قُطْرُبُلِ

وَ كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ بَهْجَتِهَا أَبَدًا فِيهَا بِبُرْجِ الحَمَلِ[168]

- قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن زكرياء القلعي الأصم (*1) ، مادحا قوما في طرابلس الغرب يعرفون ببني الأشقر :

تُرَى فَاضَ شُؤْبُوبُ مِنَ الوَرَقِ سَاجِمُ وَ أُومِضَ مَشْبُوبُ مِنَ البَرْقَ جَاحِمُ

وَمَاذَا النَّدَى وَ الوَقْتُ بِالضَّيِّقِ حَاتِمُ وَمَاذَا السَّنَا وض الجَوُ بِاللَّيْلِ فَاحِمُ

وَمَا هَذِه مُزْنُ وَمَاذِي بِوَارِق وَلَكِنَهَا أَيْمَانُكُمْ وَ الصَّوَارِمُ

بِبَنِي الأَشْقَرِ اسْتَعْلُوا بِحَقٍ عَلَى الوَرَى كَمَا لَمْ يَزَلْ فَوْقَ الكُعُوبِ اللَّهَاذِمُ

مَشَيْتُمْ إِلَى العَلْيَا وَطَارَ سِوَاكُمُ فَلَمْ تَبْلُغِ الأَقْدَامُ فِيهَا القَوَادِمُ

---

[166] : ديوان ابن رشيق ، محي الدين ديب ، ص 141.

[167] : المصدر نفسه ، ص 146.

[168] : الذخيرة ، ابن بسام الشنتريني ، ج 7 -8 ، ص 151.

وَأَوْقَعُ مَنْ تَلْقَاهُ مضنْ طَارَ لِلعُـــلا إِذْ لَمْ يَكُنْ رِيشُ الجَنَاحِ المَكَارِمُ
وَفِي ذَا الحِمَى المَأْمُولِ يَأْمَنُ خَائِفُ وَفِي ذَا النَّدَى المَعْسُولِ يَنْقَعُ حَائِمُ[169]

٢- الرثـــــــــاء:

و قد أخذ هو الآخر مكانة وسط الإبداع الشعري المغربي ، لما اقتضت الحاجة لوجوده، وهو يعني باختصار : تعداد مناقب الميت وإظهار التفجع والتلهف عليه [170] ، في حين ذهب ابن رشيق بما جاء به عن الرثاء مذهبا آخر ، حيث يقول ":وليس بين الرثاء و المدح فرق ، إلا أن يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل (كان) أو (عدمنا به كيت وكيت)،وما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت ، و سبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع ، بين الحسرة مخلوطا بالتلهف و الأسف و الاستعظام ، إذا كان الميت ملكا أو رئيسا كبيرا "[171] ، وبذلك يكون ابن رشيق قد أبان عن الفرق السطحي بين المدح

---

[169] : الخريدة ، الأصفهاني ، ج 1 ، ص 338.

(*1) : لُقِّبَ بالقلعي الأصم نسبة لقلعة بني حماد ، كان جيد الشعر واري زناد الفكر ورد الى مصر ، فأقام بالاسكندرية، ثم عاد الى المغرب ، لم ترد له لا سنة ميلاد و لا وفاة ، (الخريدة،الأصفهاني، ج 1 ، ص 338.)

[170] :ينظر : جواهر الأدب في الأدبيات وإنشاء لغة العرب ، السيد أحمد الهاشمي ، ج 1 ، ص 402.

[171] : العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، ج 2 ، ص 96.

(*1) : هو شاعر من شعراء القيروان ، قيل أن مولده كان بعد الانتقال الفاطمي (أي بعد عام 362هـ) ، ووفاته كانت حوالي 417هـ، و هو ابراهيم بن القاسم (تاريخ افريقية ، الرقيق القيرواني ، ت – على زيدان و عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، ط

والرثاء ، متناسيا الفرق الجوهري بينهما،والمتمثل في العاطفة الخالصة و الشعور الحقيقي الذي ينتاب الراثي ، لأنه يكون قد وَدَّعَ أحد أهله أو معارفه ، أو فقد وطنه في حين كلنا نعلم ما كان يطبع المدح من نفاق ومراء خاصة إذا ما كان تكسبيا .

أما عن نماذج هذا الغرض في الفترة الصنهاجية ، فقد جاء منواله في اتجاهين اثنين :

أ – رثاء الأشخاص : و من نماذج هذا النوع :

– قال الكاتب ابن الرقيق القيرواني (*1)، راثيا أحد معارفه:

أهون ما ألقى وليس بهين	**بأن المنايا للنفوس بمرصد**
وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ اليَّوْمَ رَائِحًا	**لِصَرْفِ رَزَايَاهَا لَقِيتُكَ فِي غَدِ**
فَلَا يُبْعِدَنَّكَ اَللُه مَيِّتًا بِقَفْزَةٍ	**مُعَفَّرِ خَدٍّ فِي الثَّرَى لَمْ يُوَسَّدِ**
تَرَدَّى نَجِيعًا حِينَ بَزَّتْ ثِيَابَهُ	**كَأَنَّهُ عَلَى أَعْطَافِه فَضْلُ مُجْسَدِ**
مُضَاءُ سِنَانٍ فِي سِنَانِ مُذّلِق	**وَفَتكُ حسَام فِي حسَام مُهَنَّدِ** [172]

– قال ابن الربيب القيرواني (–420 ه) راثيا المنصور بن محمد بن أبي العرب :

يَا قَبْرُ لَا تُظْلِمْ عَلَيْه فَطَالَمَا	**جَلى بِغُرَّتِه دُجَى الْإِظْلَامِ**
أعجب بِقَبْرٍقيس شِبر قَد حوى	**لَيْثًا وَبَحْرَ ندىو بدر تمام**[173]

– قال ابن الرشيق القيرواني(390هـ–456ه) ، يرثي المعز بن باديس

لِكلِ حَيٍّ وان طال المدى هُلُكُ	**لا عِزُّ مَمْلَكَةٍ يَبْقَى وَلَا مَلِكُ**
لِحَادِثٍ منه فِي أَفْوَاهَنا خَرَسٌ	**عنِ الحَديثِ و فِي أسماعنا سَكَكُ**
يَهَاب حاَكِيه صدقًا أن يبوح به	**فكيف ظَنُّكَ بالحاكين لَوْ أَفَكُوا**
أودى المعز الَّذي كانت بموضعه	**و باسمه جَنَبَاتُ الأَرْضِ تُمْتَسَكُ**
فَالصَّوْتُ فِي صَحْنِ ذَاكَ القَصرِ مُرْتَفِعٌ	**وَ السِّتْرُ عَنْ بضاب ذَاكَ البَهْوِ مُنْتَهَك**
وَلَى الُمعِز عَلَى أَعْقَابِهِ فَرَمَى	**أوْ كَاد ينهدُّ من أرْكَانه الفَلَكُ**
مَضَى فَقيدا وَ أَبْقَى فِي خزائنهِ	**هَامَ الُملوَك وَ مَا أَدْرَاكَ مَا مَلَكُوا**

---

1 ، 1990م ، ص ط).

[172] : الأنموذج، ابن الرشيق القيرواني ،ص 63.

[173] : المصدر نفسه،ص 114.

مَمَا كان إِلَاحساما سَلَّهُ قَدَرٌ على الذين بَغَوْا في الأرض انْهَمَكُوا [174]

- قال الحصري الضرير(كان حيا عام 450هـ) ، يرثي أباه و قد ودع قبره وقت جوازه إلى الأندلس :

أَبِي نَيْرُ الأيام بَعْدَكَ أظلما و بنيان مجدي يوم متَّ تَهَدَمَا

و جسمي الذي أبلاه فَقْدُكَ إن أكن رَحَلْتُ به فَالْقَلْبُ عندك خيَّما

وَقَى اللّه عَيْنَيْ مَنْ تَعَمَّدَ وَقْفَةً بقَبْرِكَ فَاسْتَسْقَى اه و ترحما

و قال سلام ،وَ الثَّوَابُ جزاء من أَلَّم على قبر الغَّرِيبِ فَسَلَّمَا

و أخذ من ترابه فقال :

رحلت و ها هنا مثوى الحبيبِ فمن يبَكْيك َيا قبر الغَريب ؟

سأَحمِلُ من ترابك في رحالي لكي أغنَى به عن كل طيب[175]

---

[174] : ديوان ابن رشيق ، محي الدين ديب ، ص 109 .

[175] : الذخيرة ، ابن بسام الشنتريني ، ج 7 – 8 ، ص 186.

ب – رثاء المدن :

– قال ابن رشيق (390 هـ – 456هـ) راثيا مدينة القيروان :

كَمْ كَانَ فِيهَا من كرام سادة ... بيض الوجوه شوامخ الإيمان

متعاونين على الديانة و التقى ... لله في الإسرار و الإعلان

و مهذب جم الفضائل باذل ... لنواله و لعرضه صوان

و أئمة جمعوا العلوم و هذبوا ... سنن الحديث و مشكل القرآن

علماء إن ساءلتهم كشفوا العمى ... بفقاهة و فصاحة و بيان

و إذا الأمور استبهمت و استغلقت ... أبوابها و تنازع الخصمان

حلوا غوامض كل أمرٍ مُشْكَلٍ ... بدليل حق واضح البرهان

هجروا المضاجع قانتين لربهم ... طلبا لخير مَعَرَّسٍ و مغان

و إذا دجا الليل البهيم رأيتهم ... متبتلين تَبَتُّلَ الرهبان

في جنة الفردوس أَكْرَمَ منزل ... بين الحسان الحور و الغلمان

تجروا بها الفردوس من أرباحهم ... نعم التجارة طاعة الرحمن [176]

– و قال الحصري الضرير (فراره من القيروان 450هـ) راثيا أيضا المدينة نفسها :

موت الكرام حياة في مواطنهم ... فإن هم اغتربوا ماتوا و ما ماتوا

يا أهل ودي لا و الله ما انْتَكَثَتْ ... عندي عهود و لا ضاقت مودات

لئن بعدتم و حال البحر دونكم ... لبين أرواحنا في النوم زورات

ما نمت إلا لكي ألقى خيالكم ... و أين من نازح الأوطانِ نَوْمَاتُ ؟

إذا اعتللنا تعللنا بذكركم ... لو حسنت بُرْءَ علات تعلات

ماذا على الريح لو أهدت تحيتها ... إليكم مثل ما تهدى التحيات

أصبحت في غُرْبَتِي لولا مكاتمتي ... بكتني الأرض فيها و السَّمَاوَاتُ

كأنني لم أذق بالقيروان جَنًّى ... و لم أقل ها أحبائي و لا هاتوا

و قال فيها :

هل مطمع أن تُرَدَّ القيروان لنا ... و صبرة و المُعَلَى فالحنيات؟

ما إن سجا الليل إلا زادني شَجَنًا ... فأتبعت زفراتي فيه أَنَّاتُ

---

[176] : ديوان ابن رشيق ، ت – محي الدين ديب ، ص 144.

و لا تنفست أنفاس الرياض ضحى إلا بدت حسراتي المُستَكِنَّاتُ [177]

- وفي رثاء القيروان أيضا قال ابن شرف القيرواني (- 460هـ) :

آه للقيروان أَنَّةُ شجوٍ عن فؤاد بجاحم الحُزْنِ يصلى

حين عادت به الديار قبورا بل أقول الديار منهن أخلى

ثم لا شمعة سوى أنجم تَخْـــ طُو على أفقها نواعس كسلى

بعد زُهْرِ الشماع توقد وقدا و متانِ الذُّبال تفتل فتـــــلا

و الوجوه الحسان أشرق منهن و يفضلنهن معنى و شكلا

لو رأيت الذين كان لهم سه لك وعرا قد صيروا الوعر سهلا

و منها :

بعد يوم كأنما حشر الخلـــ ق حفاة به عواري رجلى

و لهم زَحْمَةٌ هنالك تَحْكِي زحمة الحشرِ و الصَّحَائِفُ تتلى

و عجيج و ضجة كضجيج الــ خلق يبكون و السرائر تبلى

من أيامى وراءهن يتامى مُلِئُوا حسرة و شجوا و ثكلا [178]

[177] : الذخيرة ، ابن بسام الشنتريني ، ج 7 – 8 ، ص 192.

[178] : المصدر نفسه، ص 158 .

٤ – الوصـــــف :

لن يكون ذلك من باب المغالاة إذا قلنا إنما الشعر وصف ، فالمتغزل يصف لنا شوقه لخليله،والمادح يصف لنا خصال ممدوحه ، و الراثي يصف لنا مناقب فقيده و الهاجي يصف لنا مثالب غريمه ، و هذا نفسه ما ذهب إليه ابن رشيق حين قال : " الشعر إلا أقله راجع إلى باب الوصف ، فلا سبيل إلى حصره و استقصائه ، و هو مناسب للتشبيه ، مشتمل عليه وليس به،لأنه كثيرا ما يأتى به أضعافه ، و الفرق بين الوصف و التشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشيء و أن ذلك مجاز و تمثيل ، و أحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله للسامع"[179] ، لكن هذا لا ينفي استعمال المجاز عند وصف الشيء حتى يضفي عليه نوعا من الجمال والإبداع .

و عن تداخل الأغراض الشعرية في هذا الغرض يقول الكفراوي : " من السهل على الدارس تحديد ما يراد بالمدح أو الفخر أو الهجاء ، و لكننا حين نتدبر كلمة الوصف ، نرى أن شطرا كبيرا من الشعر العربي يمكن أن يدخل تحتها "[180] ، و ذلك من منطلق ما سبق ذكره من تداخل هذا الغرض مع بقية الأغراض الأخرى .

و مما وجد من نماذج في هذا الغرض في الفترة الصنهاجية :

- قال عبد الكريم النهشلي (*1) واصفا البخاتي:

و من خير بُخْيَاتِ كسرى بن هرمز   فوالج يزهيها التأَّود الخَطِرُ

سفائن أو صيغ السفين مثالها   فلو يبق إلا أن يموج بها بحر

عليها من الديباج كُّل مصور   هريق به إلا فرند واتقد التِّبْرُ

يطأن الربيع الغَضُّ في غير حينه   مدارع لم يفتق شقائقها القطر[181]

- قال ابن الرقيق القيرواني (-417هـ) واصفا الحرب التي جمعت بين باديس بن المنصور و حماد بن بلكين :

لم أَنْسَ يوما شلف راع منظره   و قد تضايق فيه مُلْتَقَى الحدق

---

179 : العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، ج 2 ، ص 230.

180 : تاريخ الشعر العربي ، عبد العزيز الكفراوي ، ص 98.

(*1) : كان أستاذا لابن رشيق القيرواني ، وهو محمدي المنشأ دون أن تذكر سنة ميلاده ، و قيرواني الوفاة لعام 405هـ(الأنموذج ، ابن رشيق ، ص 170).(و البخاتي : ج البختي و هي الإبل الخراسانية) .

181 : الأنموذج، ابن رشيق القيرواني ، ص 174.

و الخيل تعبر بالهامات خائضة | من سافح الدم مجرى قانئ الفلق
و البِيضُ في ظلمات النقع بارقة | مثل النجوم تَهَاوِنُ في دجى الغسق
و قد بدا مَعْلَماَ باديس مشتهرا | كالشمس في الجو لا يخفى عن الحـــدق
و إن رائحته لو فاض نائلها | و بأسها في الورى أشفو على الغرق
تجلو عمامته الحمراء غرته | كأنه قمر في حمرة الشفـــق [182]

– قال الملك يحيى بن تميم بن المعز بن باديس (-509هـ) صاحب المهدية يصف منافقا :

رأيتك قاعدا على كل خير | و أنت الشهم في قالوا و قلت
و طَرَارًا له لطف و حذق | و ألفاظ يُنَمِقُهَا و سمـــت
وثقت إليه من حسب و بيت | و لولا ذاك منه ما وثقت
و قد يعد الوعود و ليس يُوفِي | و ليس بقائل يوما فعلت
كَخزٍّ الماء فوق الماء طاف | يروق و ماله أصل و نبت
كذلك زهرة الدفلى تراها | تَشُوقُ العين حسنا و هي سحت[183]

– قال ابن أبي مليح الطبيب (*1) ، يصف جنائب و قضاء حق العيد للأمير: عبد الله بن العزيز الحمادي :

وجالت به جُرْدُ المذاكي كأنها | عذارى ولكن نُطْقُهُنَّ تحمحم
بصفراءَ كالتبر العتيق صِقِلِيَّةٍ | ودهماء يتلوها كُمَيْتٌ و أَدْهَمُ
و أشقر لو يجري و للبرق جهده | لكان له يوم الرّهان التَّقَدُمُ
وقام لواء النصر يتبع راية | بها المعز معقود عليها متمّم
فلما قضى حق الصلاة معظما | ثنى و الهدى في وجهه يتوسم
فلا زال يقضي نفله و فروضه | و بُرْدُ علاه بالمدائح مُعْلَمُ[184]

– قال الحصري القيرواني (-453 هـ) واصفا كتابه زهر الآداب :

بديعُ نثرٍ رَقَّ حتى غدا | يجري مع الروح كما تجري
من مُذْهَبِ الوشي على وجهه | ديباجة ليست من الشعر

---

[182] : البيان المغرب ، المراكشي ، ج 4 ، ص 264.

[183] : الخريدة ، الأصفهاني ، ج 1 ، ص 144.

(*1) : لم تورد لنا المصادر أي ترجمة عنه .

[184] : المصدرالسابق ، ص 184.

كزهرة الدنيا و قد أقبلت **تَرُودُ في رونقها النَّضرِ**

أو كالنسيم الغض غِبَّ الحيا **يختال في أردية الفجر**[185]

كما عرفت الفترة الصنهاجية نوعا من الشعر يندرج ضمن غرض الوصف ، يتمثل :

أ - الخمريات :

و قد أدرجنا هذا النوع ضمن هذا الغرض ، باعتبارها أبيات خُصَّتْ لوصف الخمـــر **و**مجالسه و سهراته ، و من نماذج ذلك :

– ما قاله ابن رشيق (390هـ- 456هـ) من خمريات و من ذلك :

مُعَتَّقَةٌ يعلو الحباب متونها **فَتَحْسِبُهُ فيها نثير جمان**

رأت من لُجَيْنٍ راحة لمديرها **فطافت له من عَسْجَدٍ ببنان** [3]

و قال :

قَدْرُ المُدَامَةِ فوق قدر الماء **فارغبْ بكاسك عن سوى الأَكْفَاءِ**

مالي و مَزْجُ الرّاح إلا في فمي **بالريق من فم غادة حسناء**

ذاك المزاج و إن تعاداني الذي **في المزن من ذي رقة و صفاء**

أشهى و أبلغ في الفؤاد مَسَرَّة **من غيره و أَدَبُّ في الأعضاء** [186]

- قال الأمير تميم بن المعز(422هـ- 501هـ) ، واصفا الخمر :

و خمر قد شَرِبْتُ على وجوه **إذا وُصِفَتْ تجلُّ عن القياس**

خدود مثل ورد في ثغور **كدُّرٍ في شعور مثل آس**[187]

- قال الأمير يحيى بن تميم (-509هـ) هو الآخر يصف مجلس خمر :

---

[185] : زهر الآداب و ثمر الألباب ، الحصري القيرواني ، ت – زكي مبارك ، مج 1 ، د .ط ، د .ت ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ص 37.

[3] : الديوان ، ت . محي الدين ديب ، ص 141 .

[186] : المصدر السابق ، ص 38

[187] : وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، مج 1 ، ص 305.

ألا يا نداماي الكرام و سادتي سألتكم إلا أحببتم مَقَالَتِي
أليس مُعَاطَاةُ الكؤوس و حثها و حسن المثاني كارتجا ع الفَوَاخِتِ
أَحَبُّ إليكم من زمان مصرد تَحْكُمُ في الفتيان حكم الشوامت[188]

[188] : الخريدة ، الأصفهاني ، ج 1 ، ص 145.

٥- الهجـــــــــاء :

على الرغم مما فيه من أمور منهي عنها ، من تتبّع لعيوب الناس ، و تعدادٍ لمثالب المرء ونفي المكارم و المحاسن عنه [189] ، إلا أنه واحد من الأغراض الشعرية ، و قد قال ابن رشيق عن أَشَدِّهِ وقعا على النفوس : " و الذي أراه أنا على كل حال أن أَشَدُّ الهجاء ما أصاب العرض ووقع على النكتة "[190] ، و هذا ما سار عليه هو نفسه ، و قد عرفه المغاربة كغرض شعري ، سار على أيامهم ، و لا سيما في الفترة الصنهاجية . و من نماذجه في الفترة الصنهاجية :

- قال الباجي (*1) هاجيا لحية رجل و قبح وجهه :

لحية ميمون إذا حصلت   لم تبلغ المعشار من ذَرَّهْ
تطلعت فاستقبحت وجهه   فأقسمت لا أَنْبَتَتْ شعره[191]

- قال أبو بكر بن علي الصابوني (*2) ، هاجيا :

كلٌّ سوسيٍّ بسوسه   نفسه نَفْسٌ خسيسه
بعضهم يَنْهُشُ بعضا   ككلاب في فريسه[192]

- قال المجدولي (*3) ، هاجيا النغائي (*4) :

و كاتبٌ يمسخ ما ينسخ   جميع ما يكتبه يفسخُ

---

[189] : ينظر ، جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب ، السيد أحمد الهاشمي ، ج 1 ، ص 402.

[190] : العمدة ، ابن رشيق ، ج 2 ، ص 123.

(*1) : هو محمد بن أبي معتوج من أهل باجة (تونس) بها نشأ و تأدب ، و كان بديها هجاءا ، قتل سنة 407هـ، (الأنموذج ، ص 352).

[191] : الأنموذج ، ابن رشيق ، ص 352 .

(*2): كان مطبوعا صاحب النوادر و هجاء خبيث، توفي سنة 409 هـــ ، (الأنموذج، ص 98).

[192] : المصدر نفسه ، ص 98.

(*3) : هو عتيق بن عبد العزيز المجدولي نسبة لقرية مجدول ، ، كان شاعرا شريرا هجاءا معجبا بنفسه ، توفي عام 409 هـ (الأنموذج ، ص 249)

(*4) : كتب لجعفر بن ثقة الدولة صاحب صقلية ،قتل عام 410 هـ ، (الأنموذج ، ص 249) .

حرت فلا أدري أَأَثْوَابُهُ أم عِرْضُهُ أم حبره أوسخ[193]

- قال ابن أبي العرب الخرقي(*1) ، هاجيا :

عبد تكلف شتمي و هو يشرق بي يبغي بذلك من عُشَّاقِه سببا

و ظلّ يزهى علينا و الصِّغَارُ له و يركب النَهْيَ فينا بعدما ركبا

و قال يهجو شيخا :

يرجو إعادة أَيَّامٍ قد انصرمت و يحلق الخَدَّ من شعر قد التهبا

يستر القبح منه و هو منكشف جِسْمٌ حطام ووجه لونه شحبا

يُمْضِي السِّواك على ثغر به قَلَحٌ لو مَجَّ ريقه في النّيل ما شُرِبَا[194]

- و مما قاله ابن رشيق (390 هـ - 456هـ) من أهاجي ، و التي كان جلها عن معاصره ابن شرف (- 460 هـ) ، و الذي هجاه بأكثر من بيت ، و من ذلك نجد :

لابد في العور من تيهٍ ومن صلفٍ لأنهم يُبْصِرُونَ الناس أنصافا

و العُمْيُ أولى بحال العور لو عَرَفُوا على القياسِ و لكن خاف من خافا[195]

و مما قاله أيضا هاجيا :

يا موجعي شتما على أنَّهُ لو فُرِكَ البرغوث ما أوجعا

كلٌّ له من نفسه آفة و آفة النملـــةِ أن تلسعاَ[196]

[193] : المصدر السابق ،ص 249 .

(*1) :هو أبو بكر عتيق بن حسان بن خلف ، قوي العارضة ، قليل التصدع ، فخم الاستعارة ، لم ترد له سنة ميلاد ولا وفاة ، (الأنموذج ، ابن رشيق ، ص 247).

[194] ، المصدر نفسه ، ص 247.

[195] : ديوان ابن رشيق ، محي الدين ديب ، ص 97.

[196] : المصدر نفسه، ص 91 .

٦- الفخـــــــــــر :

و على خلاف ما وُجِدَ من أبيات مثّلنا بها كل ما سلف ذكره من أغراض شعرية ، فإننا لم نقف على نماذج كثيرة لهذا الغرض تعكس لنا حال هذا الغرض في الفترته الصنهاجية ، إلا ما جاء إيراده لشاعر افتخر بنفسه و بآله ، و قد تمثل في :

- قال ابن أبي الرجال (*1) مفتخرا بنفسه :

وجدت طريق البأسِ أسهل مَسْلَكًا	**و أحرى بِنُجْحِ من طريقِ المطامعِ**
فلست بِمُطْرٍ ما حييتُ أخا ندىً	**و لا أنا في عِرْضِ البخيل بواقع** [197]

و قال مفتخرا بآل شيبان :

يا آل شيبانَ لا غَارَتْ نجومكم	**و لا خبت ناركم من بعد توقيد**
أنتم دعائم هذا المُلْك مُذْ رَكَضَتْ	**قُبْلُ الخيول لإبرام و توكيد**
المنعمونَ إذا ما أزمةٌ أَزَمَـــتْ	**و الواهبونَ عتيقات المزاويد**
سيوفُكُمُ أفقدت كسرى مَرَازِبَهُ	**في يومِ ذي قَارَ إذْ جاؤوا لموعود**[198]

[197] : العمدة ، ابن رشيق ، ج 1 ، ص 47.

[198] : المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 95.

(*1) : عالم شاعر ، راعي الأدب و الأدباء بالقيروان أيام المعز بن باديس ، و باسمه طرز ابن رشيق كتاب العمدة، وقيل أن وفاته كانت عام 426هـ ،(الأنموذج ، ص 154) .

٧- العتـــاب و الشكـــوى :

و هو الآخر ، قرض فيه الشعراء المغاربة ، و خصوصا شعراء الفترة الصنهاجية ، و من نماذجه:

- قال القزاز القيرواني(-412 هـ) ، معاتبا عبد الوهاب بن الحسين بن الحاجب :

واحسرتاه مات أترابي و أقراني　　و شتت الدَّهْرُ أصحابي و أخداني

و غَيَّرَتْ غير الأيام خالصتي　　و المنتضى الحرَّ من أهلي و إخواني

و صار من كنت في السَّرَاءِ أذكره　　بل لست أنساه في الضراء ينساني

هذا أخي و شقيقي المرتضى ويدي الـــ　　يمنى و موضعُ إسراري و إعلاني

دعاهُمُ للورى طُرًّا و أسقطني　　إسقاطك النونَ في ترخيم عثمان[199]

– و قال علي بن أبي الرجال(– 426 هـ) معاتبا :

و إني لَأُطْرَى كل خل صحبته　　و أنت ترى شتمي بغير حياء

ستعلم يوما ما أسأت لصاحب　　تَكَرُمَ أخلاقي و حسن وفائي [200]

- و قال ابن رشيق (390 هـ – 456 هـ) معاتبا ، القاضي جعفر بن عبد الله الكوفي :

و قد كنت لا آتي إليك مُخاتلاً　　لديك و لا أُثْنِي عليك تصنُّعا

و لكن رأيت المدح فيك فريضة　　عَليَّ إذا كان المديح تطوعا

فقمت بما لم يَخْفَ عنك مكانُهُ　　من القول حتى ضاق مما توسعا

و لو غيرك الموسوُمُ عني بريبَةٍ　　لأعطيت مُدَّعِي القول ما ادعى

فلا تتخالَجْكَ الظنون فإنها　　مَأْثِمُ و اترك في للصُّنْعِ موضعا

فوالله ما طوَّلْتُ باللوم فيكم　　لسانا و لا عَرَّضْتُ للذم مِسْمَعَا

نهضت و لا ملت عنكم بالوداد و لا انطوت　　حبالي و لا ولى ثنائي مودعا [201]

و قال أيضا :

أجدك لم أجد للصبر بابا　　فتدخله على سعة ضيق

بعبء إخواني فزادوا　　و أثقل ما يرى حمل المطيق

---

[199] : انباه الرواة ، القفطي ، ج 3 ، ص 85.

[200] : العمدة ، ابن رشيق ، ج 2 ، ص 114.

[201] : ديوان ابن رشيق ، محي الدين ديب ، ص 91.

و لكن رب إحسان و بر   دعا بعض الرجال إلى العقوق

فإن أصبر فعن إفراط جهد   و إن أقلق فحسبك من قلوق

– قال الحصري الضرير (فراره من القيروان عام 450 هـ) ، معاتبا أحد خلانه :

كم من خليل كان عندي شهدة   حتى بلوت المر من أخلاقه

كالملح يحسب سكرا في لونه   أو حجمه و يحول عند مذاقه

– ما قاله ابن شرف (– 460 هـ) ، شاكيا أمره إلى الله :

هذا ذا جاء في باب العتاب ، أما الشكوى فلم نقف عن نماذج عديدة ، فما عثرنا عليه ، يكاد يعد على الأصابع ، و من ذلك :

شكوت حزني و بثي   إلى القريب المجيب

فكان عقباي عقبى   نبيـــــه يعقوب [202]

–و قول ابن رشيق القيرواني (390هـ – 456 هـ) شاكيا :

يا رب لم أقوى على دفع الأذى   و بك استعنت على الضعيف الموذي

ما لي بعثت إلي ألف بعوضة   و بعثت واحدة إلى النمـــــرود [203]

و قال يشكو حرفة الأدب :

أشقى لعقلك أن تكون أديبا   أو أن يرى فيك الورى تهذيبا

ما دمت مستويا ففعلك كله   عوج و إن أخطأت كنت مصيبا[204]

٨ – الشـوق و الحنـــــين :

و من نماذج هذا الغرض الشعري :

---

[202] : الذخيرة ، ابن بسام الشنتريني ، ص 157.

[203] : ديوان ابن رشيق ، محي الدين ديب ، ص 71.

[204] : المصدر السابق ، ص 41.

- قال الوراق السوسي (*1) متشوقا إلى وطنه :

بالله يا حبل المعسكر د ع ريح الجنوب لعلها تسري

كيما أسألها فتخبرنـــي ما يفعل الجيران بالقصر

يا قصر طارق الذي طرقت أحشائي فيه بلابل الصبر

و الله ما قصرت عن قلق لكنني قصرت بالقسر

فسقاك منهل الحيا و سقي عصرا تقضى فيك من عصر

يا ربع كم لي فيك من غصن يهفو صباه به و كم بدر

و مناسب الأوصاف ثقلة حقف يكاد ينوء بالخصر

و يقول منها :

أعطي عهود الله صفقة من أعطي العهود بجانب الحجر

لو أستطيع سبحت من طرب شوقا إليك سواد ذا البحر

حتى أقبل جانبيك كما قبلت فيك مراشف البدر[205]

قال علي بن أبي الرجال (- 426هـ) متشوقا إلى أهله :

و لي كبد مكلومة لفراق أطامنها صيرا على ما أجنت

تمنتكم شوقا إليكم و صبوة عسى الله أن يدني لها ما تمنت

و عين جفاها النوم و اعتادها البكا إذا عن ذكر القيروان استهلت[206]

- **مما قال ابن رشيق (390 هـ – 456 هـ) في الشوق و الحنين :**

من ذا يعالج عني ما أعالجه من حر شوق أذاب القلب لاعجه

و من يكن لرسيس الشوق داخله يكن لفرط الضنى و السقم خارجه

كادت خلاخين من أهوى بنوح به سرا و غصت بما فيها دماجـــه[207]

- قال يوسف بن النحوي القلعي (433هـ - 513هـ) متشوقا إلى مصر :

---

[205] : الأنموذج ، ابن رشيق ، ص 391.

[206] : العمدة ، ابن رشيق ، ج 1 ، ص 141.

[207] : ديوان ابن رشيق ، محي الدين ديب ،ص

أين مصر و أين سكان مصر بيننا شقة النوى و البعاد
حدثاني عن نيل مصر فإني منذ فارقته إلى الماء صاد
و الرياض التي على جانبيه و اجعلاه من الأحاديث زادي
رق قلبي حتى لقد خلت أني بين أيدي الزوار و العواد
ما تراني أبكي على ربع ما تراني أهيم في كل واد
روشن من رواشن النيل خير بعد من دجلة و من بغداد[208]
عدمناك من بعد و إن زدتنا قربا على أن فيما بيننا سبسبا سهبا [209]

و قال أيضا متشوقا عند ذكره لطفلين له :

أجشمهم ليل القفار و ظلمة ال بحارو كم ريعوا و للسيد أرخاء
و لي منهما سهمان هذا ابن أربع و هذا ابن ست كلما كان أغفاء
أضمهما و الليل داج كأنما هما نقطتا في ياء و جسمي هو الياء
فطور يغشيهم علي ذكرك الكرى فتصبح أضواء عايهم و لألاء
و طورا يمجون الدجى و مطاله و ما كان للغايات مطل و أرجاء
فتضجر منهم أنفس ربما بكت بكا هو للصم الجلاميد إبكاء[210]

- و قال متشوقا لبلده القيروان :

يا قيروان وددت لو أني طائر فأراك رؤية ياخت متأمل[211]

- و قال القاضي عياض (477 هـ - 543هـ) متشوقا لأبيه :

الله يعلم أنني منذ لم أركم كطائر خانه ريش الجناحين
فلو قدرت ركبت البحر دونكم لأن بعدكم عني جني حيني[212]

٩- الشعـــر الديـــنـي :

و فيما يلي ، سيأتي إيراد الأنموذج الأشهر آنذاك في تلك الفترة ، و المتمثل في قصيدة دينية و المعروفة بالمنفرجة لصاحبها ابن النحوي (433 هـ- 513 هـ) و مما جاء فيها :

---

[208] : الخريدة ، الأصفهاني ، ج 1 ، ص 325.
[209] : الأنموذج ، ابن رشيق ، ص 341.
[210] : الذخيرة ، ابن بسام ، ص 152.
[211] : المصدر السابق ، ص 161.
[212]

اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلـــــج
و ظلام الليل له سرج حتى يغشاه أبو الســـرج
و سحاب الخير لها مطر فإذا جاء الابان تجــــي
و فوائد مولانا جمــــل لسروج الأنفس و المهج [1]

و هكذا عرفت الفترة الصنهاجية كل ما كان متداولا آنذاك من أغراض كالغزل والفخر والمدح و الرثاء ، و غيرها ، فألفينا خوض الشعراء في هذه الشعراء ، و إن لم تكن بالدرجة نفسها ، إذ أننا وجدنا درجتي الغزل و المديح علت على بقية الأغراض ، في حين أدنـــى الدرجات عادت إلى الهجاء .

كما لمسنا عند بعض الشعراء و على الرغم من القلة القليلة من إبداعهم الشعري ، إلا أنه عكس الدرجة الرفيعة التي بلغها من إبداع و ذلك بشهادة أصحاب المصادر ممن روا لنا هذه الإبداعات كما ألفينا الحضور القوي لابن رشيق في جل ما تداول من إبداعات شعرية باعتبار توفر ديوانه الشعري في حين كان ما تم إدراجه من إبداعات أدبية أخرى كنماذج ، لم يخرج عن نطاق المنتخبات و التي روتها لنا المظان و التي عنيت بأدب تلك الفترة .

---
1 : عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 272 ــ 278

الفصل الثالث

– تمهيد

١ – اللغة

٢ - الإيقاع

٣ – الصورة الشعرية

٤– التناصات و الحوارات

تمهيد :

إن علاقة الجمال بالفن الأدبي ، أمر لا يختلف فيه اثنان فهما وجهان لعملة واحدة ، فلا ينبغي بأي شكل من الأشكال الفصل بينهما ، لاتصالهما الوثيق ، فكل مجال فني إبداعي ، يحمل لا محالة بين طياته اللمسة الجمالية ، بدرجة قد تتفاوت و قيمة العمل الإبداعي المدروس ، فالجمال و الفن لهما مظهر مزدوج[213] ، فليس من باب المغالاة إذا ما قلنا أن كل وجود عمل فني ينحصر في وجوده الجمالي ، فكل عمل فني موضوع جمالي، بل وُجِدَ من ذهب بعلاقة الجمال بالفن ، لأبعد من هذا ، وفي ذلك يقول هيڤل:"الفن وجد كي يوقظ فينا شعور الجمال" [214] .أي لولا وجود الفن لما سمعنا عن شيء اسمه الجمال .

---

[213] : ينظر ، مدخل إلى علم الجمال، هيڤل، ت. جورج الطرابشي 1978، ط 2: 1988ن.، دار الطليعة ، بيروت،ط 1، ص 169.

[214] : المصدر نفسه : ص 73.

لتترك مهمة هذه الرؤية الجمالية على عاتق الفنان ، وفي ذلك يقول عز الدين إسماعيل:"والفنان يتمتع بروح شفافة مهذّبة، تستطيع أن تدرك الجمال في أعلى درجاته ، أو بعبارة أخرى، أن يدرك الجمال المطلق ، ذلك الجمال الذي يفوق جمال الأشياء بمراحل متباينة، ولكنه يوقفها جميعا على كل حال "[215] ، كيفلا و هو المنبع لهذا الفن و المبدع فيه ، فلا مناص من أن يدركه، ويتجاوب معه ، لكن على الرغم من هذا الاتفاق حول علاقتهما، فقد وقع اختلاف وتضارب في الآراء حول مفهوم هذا الجمال ، و كيفية تجليته في الإبداع الفني ، فمنهم من قال أنه في الخير أو النافع و هناك من قال عن تمثيله في الوزن والتناسب والانسجام و النظام الذي يجمع الأشتات ، ومنهم من قال في التناسب و الكمال والوضوح، ومنهم من قال عن كمال الحيوية ، في الحي أوكمال الحرية للكائن الحر[216]، لتترجم إلى قيم تعكس هذا الجمال المختلف في ماهيته ، وقد اتسمت هذه القيم الجمالية ،مع باقي القيم الأخرى
(الدينية،الاجتماعية ، الأخلاقية)، بالمعياريّة المحددة لطبيعة ومدى تطور العلاقات داخل المجتمع،
وأوضاعه الاقتصادية، وحالة العلاقات بين طبقاته ، وما سواها من العلاقات المجتمعية[217]، وبغض النظر عن كل ما قيل عن علاقة هذه القيم الجمالية و غيرها من القيم الأخرى ، ولاسيما بالقول بذلك التصادم بينها وبين القيم الدينية خاصة ، فإن للقيم الجمالية من التأثير ما من شأنه أن يؤثر سلبا أو ايجابيا في المجتمع ، إذا ما صح استعملها فيه والتحكم فيها.
هذا ما اختص بعلاقة القيم الجمالية بالمجتمع ، أما في تعلق باتصالها بالأدب و الإبداع ، فقد كان للأدب الصنهاجي ، باعتباره إبداعا فنيا ، قيم جمالية، وسنمثل لهذه القيم الجماليةبنماذج نبين من خلالها طبيعة هذه القيم سواء على مستوى:

***اللغة**

***الإيقاع**

***الصورة الشعرية**

***التناصات و الحوارات**

---

[215] : الأسس الجمالية في النقد العربي ، عز الدين إسماعيل ، دار الفكر الغربي ، القاهرة ، 1421 – 2000هـ،ص 36.

[216] : ينظر، المرجع نفسه ،ص 53.

[217]: ينظر، جماليات الفن، رمضان الصباغ، دار الوفا ، الإسكندرية ط 1، 2003، ص 5.

ا– اللغة :

عُنِيَ العرب بدراسة لغتهم عناية،تناولتها من جميع مكوناتها الظاهرية والباطنية ، ويقول عز الدين إسماعيل متحدثا عن مكانتها منذ القدم:"هي تلك الصورة القديمة التي ذهبت إلى أن الألفاظ كالأوعية، وأن العرب ، ربما جعلت كثيرا من الأمتعة في وعاء واحد، فهذه الصورة تعبر لنا في حدق عن تصورهم وإحساسهم بهذه اللغة و طبيعتها "[218]،فاللغة صورتان ،صورة شكلية تتمثل في اللفظ ، وصورة ذهنية و المتمثلة في المعنى ، فبقدر ما تحمله لنا صورة الشكلية لأكثر من صورة ذهنية ،تكون لنا في ذلك الإجادة و الإصابة، فكانت العرب قديما تروم إلى الإيجاز في اللغة تستحسن الاقتصاد فيها وتستهجن الإطالة و الأطناب ، وهذا نفسه ما ذهب إليه ابن منقد أيضا حين قال :"خير الكلام ما كانت ألفاظه قوالـــــب لمعانيه"[219]،ليؤكد هو الآخر الفكرة نفسها فقد كانت لا حاجة للعرب في كلام كثرت ألفاظه،و لم تدرك مقصده ، وتمثيلا لما دعت له العرب في الأدب الصنهاجي.

أ – نثرا:

ما جاء في خطبة عبد الله بن ياسين (451هـــ) الوداعية ، حيث يقول :" **يا معشر المرابطين إني ميت من يومي هذا لا محالة** ......"[220] ، فمع اقتصاده في ألفاظه ،إذ أن المطلع عليها يلفته فيها القصر ، إلا أنه

---

[218] : الأسس الجمالية في النقد العربي ، عز الدين إسماعيل ،ص 287.

[219] : البديع في البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقد ،ت.علي مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ، ط 1، 1407هـــ – 1987، ص 224.

[220] : الاستقصا للأخبار دول المغرب الأقصى ، الناصري السلاوي ، ص 187.

جعلها أكثر المعاني ،إذ جاء في مقدمتها بقوله عن موته، دون أن يطنب في أسباب قوله هذا، ثم راح يثبت خطاهم في هذه المعركة و حثّهم على بالتكافل والتعاضد، ثم ختمها بتوصية لهم بعدم التحاسد و التنازع حتى لا يكون مآلهم، آخر المطاف الخسران والخيبة فجاء في أسطر قليلة بأهم ما كان يحتاجه جيشه في موقفه الذي كان فيه ،فجاءت الخطبة مقتضبة الألفاظ بليغة المعاني ، سامية المرام و الأهداف .

كما ذهب النقاد العرب إلى التوسّع في معرفة خصائص اللغة باعتبارها أداة من أدوات الشعر خاصة [221] ، ومن نماذج ذلك ما صورته لنا مقامة ابن شرف القيرواني (460هـــ) ، والتي جاء فيها قوله :"**جاريت أبا الريان في ذكر أهل النظّام ، ومنازلهم في الجاهلية** ....."[222] ، فاللغة الموظفة في النص الشعري أو النثري ، يجب أن تتوافق وتنسجم مع مضمونها ومع طبيعة ظروفها البيئيّة و الاجتماعية و الفنية فكان على ابن شرف الإتيان بالألفاظ التي تتماشى ومعانيها ،و في الوقت نفسه مراعاته للنغم الموسيقي الذي يبنى عليه فن المقامة ، وهو أمر لا يأتي الا لمن ملك ناصية اللغة وهذا تحديدا ما عكسته لنا المقامة .

و مما شُرِطَ أيضا كشرط لابد من توافره في اللغة ، ما جاء به صاحب البديع ، حيث قال:"وتهذيبه أن يكون اللفظ سمحا سهل المخارج ، حلوا عذبا "[223]، ومن أمثلة ذلك في الأدب الصنهاجي ما وجدناه متجليا في رسالة الحصري الكفيف القيرواني (فراره من القيروان 450هـ)، الاخوانية و التي يقول منها " **السلام عليك أيها القلب الثاني ، البعيد الداني،الراقي . في سماء المعالي**..."[224]، فقد عرضها لنا بأسلوب لطيف ، ألفاظه عذبة ومعانيه واضحة،بعيدة التكلف و التصنع ، مع مراعاته في الوقت نفسه ، لعدم الاستهجان السمعي فيها ، متخيرا بذلك الألفاظ ذات الأصوات المألوفة مخرجا ، البعيدة كل البعد عن الأصوات الموحشة التي تنفرها الأذن ، مجيدا في ذلك كله في تأليفها فيما بينها .

كما أننا نجد ذلك في نموذج ثان من الأدب الصنهاجي ،و المتمثل في رسالة ابن العالمي (كان حيا عام 561هـــ)، حيث جاء فيها:" ... **ولما كنت في مضمار سلفك جاريا، ولنا مواليا، وفي قضاء طاعتنا متباهيا** .."

---

221 : ينظر ، عيار الشعر ، ابن طباطبا ، ت.محمد زغلول عبد السلام، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د. ط ، د.ت،ص 42.

222 : الذخيرة ، ابن الشنتريني ،ج 7و 8،ص 146.

223 : البديع في البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ ، ص 226.

224 :الذخيرة، ابن بسام ، جـــ 7و 8، ص 171.

، فقد جاءت رصينة العبارات ، متخيرة الألفاظ ، واضحة المعنى،حسنة الصنعة ، خفيفة التكلف ، بعيدة عن الاسترذال[226] .[225]

ب –شعرا:

فإننا نلفي عدم خلو النماذج الشعرية الصنهاجية من جزالة الألفاظ وبساطتها ، البعيدة كل البعد عن الغموض الإبهام وكذا التكلف و الصنعة ، وذلك في عدم الإكثار من الأساليب البديعية ، فإننا قلما نجد ذلك في إبداعاتهم الشعرية ومن نماذج ذلك :

ما جاء في مقطوعة ابن النحوي (433هـ – 513هـ)، وهو يتشوق إلى مصر ، والتي جاء في مطلعها :

أين مِصْرُ و أين سكان مصر بيننا شقة النَّوَى و البعادِ[227]

فقد أبان عن هذا الاشتياق، بأسلوب جزل الألفاظ، رقيق المعاني، حسن التأثير في النفس[228] ومما ساعد الأدب الصنهاجي بتوافره على كل الخصائص المتعلقة باللّغة ولا سيما بما تعلق بألفاظها ، في أن اللغة العربية ، تمتاز في طبيعتها ، بأن تقبل دخول العقليات المختلفة فيها،شأن كل لغة حية ، و يتقنها الجميع ،أهلها وغير أهلها ، و ربما أتقنها هؤلاء الآخرون أكثر من أهلها ، يكون هذا تأكيدا لفكرة أن اللغة ، ليست لغة جنس ، وانما ظاهرة حضارية،أكثر منها ظاهرة عقلية [229]،وإنه ما وُجِدَ في الأدب الصنهاجي لخير دليل على هذه الميزة للّغة العربية من إجادة و حسن صنعة وبعد استرذال .

ولقد حافظ مستعملو اللغة على عناصر عمود الشعر مثل: شرف المعنى و صحته و جزالة اللفظ واستقامته . ومن نماذج ذلك:

أ – نثرا:

مثل ما نقرأه في وصية ابن النحوي (433هـ- 513ه)، الذي قال في مقدمتها:" **بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الحفيظ، هذا ما أودع العبد يوسف، الرب الذي خلق الأشياء و رزق الأحياء....**"[230]

إذ أن القارئ لها، يلمس سموه و لياقته، متماشية وما تقتضيه الوصية، وهي الإيمان بالله عز وجل ، وذلك في تدبر لكل ما خلق و التزام لكل ما أمر اليه ، وتجنب عن كل ما نهي عنه، وكذا الشيء

---

225 : الخريدة، الأصفهاني ، ج 1، ص 181.

226: ينظر، الأدب في عصر الدولة بني حماد ، محمد أبو رزاق ، ص 186.

227 : الخريدة أ الأصفهاني ، ج 1 ، ص 325 .

228 :ينظر ، الأدب في عصر دولة بني حماد ، محمد أبو رزاق ، 188 .

229: ينظر الأسس الجمالية في النقد ، عز الدين اسماعيل ، ص 283.

230 : عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 279.

نفسه ألفي مع صحته ، فكل ما حملت لنا هذه الوصية ، لا ينكره عاقل، ولا يحط من رجحان صوابه ، كما أنه يلمس تجسد شرطا اللفظ أيضا ، وذلك من خلال جزالته: فكل ما جاء فيها من ألفاظ كانت فصيحة ، ذات قيمة تتلاءم ومحتواها ، أما عن استقامته : فاننا لا نقف في الوصية ، ولا على زلة أو لحن نحوي أو صرفي ، عكس هذا كله الوضوح في معانيها ، و القيمة السامية في أسلوبها و البعد عن أي تكلف، بلغ هذا كله التأثير في الملتقي .

ب- شعرا:

أما عما تعلق بالنماذج الصنهاجية الشعرية و التي حملت هي الأخرى ، هذه العناصر المتطرق إليها ، ما ألفي في القطعة الشعرية و التي رويت لعمر بن فلفول (515 هـ - 547هـ) والتي جاء في مقدمتها:

قالوا نأى عنك الحبيب فما الذِي [231] تَرَاهُ إذا بان الحبيب المواصلُ

و التي جاء عرضها بأسلوب قصصي لطيف ، عذب الألفاظ ، واضح المعاني ، عكسته لنا لغته المتغيرة ، هذا كله عن هذا الهوى ، وعن مدى تمكنه من قلبه ، كما يلمس من هته القطعة ، موازنته بين عنصري المعنى بشقيه (الشرف و الصحة) و اللفظ (الجزالة والاستقامة).

فقد اعتمد في قطعته هذه على الألفاظ الجزلة المستقيمة ذات المعنى الشريف والصحيح،بصورة متعادلة متوازنة ، ليعكس كل هذا براعة شاعرنا الشعرية ،كما أضافت الخاصية التي تحملها اللغة الشعرية ، دونما سواها من اللغات الأخرى ، نوعا من التفرد ، وعن ذلك يقول عز الدين إسماعيل :"و الواقع أن اللغة في الشعر ليست ألفاظ لها دلالة ثابتة جامدة،ولكنها لغة انفعال مرنة ،بل أميز ما فيها هو هذه المرونة التي تجعلها متجددة دائما بتجدد الانفعالات،فالانفعالات الجديدة تستخدم الألفاظ دائما استخداما جديدا"[232] ، وهذا تحديدا ما وُجد في الشعر الصنهاجي ، و لا سيما الرثائي منه ، و من أمثلة ذلك ما قاله الحصري الكفيف راثيا (فراره عام 450هـــ) القيروان ، و التي جاء في مقدمتها :

موت الكرام حياة في مواطنهم فإن هم اغتربوا ماتوا وما ماتوا

يا أهل ودي لا و الله ما انتكثت عندي عهود و لا ضاقت مودات

لئن بعدتم و حال البحر دونكم لبين أرواحنا في النوم زورات

فإن ما جاء استخداما للغة في هذه القصيدة ، لدليل على هذه المرونة ، فالموت استحال حياة،و الاغتراب استحال موتا و حياة ، و النوم استحال مكانا ووقتا للقاء الأحبة وزيارة لهم وهلم جرا ، و مما جاء في

[231] : الخريدة ، الأصفهاني ، ج 1،ص 179.

[232] : الأسس الجمالية ، عز الدين إسماعيل ، ص 286.

هذه القصيدة تجسيدا لمرونة اللغة وطوعيتها ، لتتناسب وطبيعة المضمون الفلسفي ،فالشعر عند الحصري تجاوز الوصف ، ليتعمق غياهب النفس

والفكر والنظر ويعبر عن دلالته بأسلوب فلسفي تأملي ، فلسفةً منه للموت.

كما أنّ شحن اللغة بمقدار غير عادي من الانفعالات ، مولدة بذلك القدرة الايحائية في قصيدة ما[233] ، في الشعر الصنهاجي ما جاء في مرثية ابن شرف (460هـــ) القيروانية حيث يقول:

أه للقيروان أن شجـــو	**عن فؤاد بجاحم الحزن يصلى**
حين عادت به الديار قبورا	**بل أقول الديار منهن أخلى**

ومنها:

وعجيج وضجة كضجيج أل	**خلق يبكون و السرائر تبلى**
من أيامى وراهن يتامـــــــــى	**ملئوا حسرة وجشوا و ثكلا**
و ثكالى أراملا حاملاتـــــــــ[234]	**طفلة تحمل الرضاع وطفلا.**

فما حملته لنا هته الأبيات من آلام الحسرة و الوحشة و الدمار كان كفيلا ، ليعكس لنا كل الانفعالات و المشاعر التي جالت خاطر الشاعر ، واستعار مشهد يوم القيامة ، ليعبر عن الصورة التي آلت إليها القيروان بعد ما كانت رمزا للعلم و العمران و كثرة المريدين ، فجاءت لغة القصيدة ذات قدرة إيحائية عالية ، عكست بحق جمالية اللغة ، و التي استطاع مريدها من شحنها انفعالا و حسرة ، انطلاقا من تجربته الشخصية . و إن كان من قال عن انفصال جماليات اللغة عن التجربة [235]، قد فُنِّدَ قوله هذا ، لما جاءت به المرثيات الصنهاجية ، و لا سيما ما تعلق بالقيروان خاصة .

---

233 : ينظر، نظرية النقد العربي ،محي الدين صبحي ، دار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، 1884، ص 286.

234 : الذخيرة ، ابن بسام الشنتريني ، ج 7و 8، ص 158.

235: ينظر ، الأسس الجمالية في النقد ، عز الدين اسماعيل ، ص 318.

٢ - الإيقاع :

-

يعد الإيقاع الصورة السمعية للّغة ، و النصف المكمل لها في أي عمل أدبي ، فأهميته من أهميتها ، وبراعته من براعتها ففيما اختص بـــ:

1- البحور الشعرية:

فقد نظم شعراء تلك الفترة في جل ما عرف من بحور خليلية لكن أكثرها استعمالا تمثلت في:

أ– البحر الطويل: فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعيل.

وممن نظم فيه، عمر بن فلفول (515هـ ،547 هـ) قطعته الغزلية و التي جاء في مقدمتها :

قالوا نأى عنك الحبيب فما الذي[236]　　　تراه إذا بان الحبيب المواصل

– و مما قاله ابن قاضي ميلة متغزلا :

و لما التقينا محرمين و سَيْرُنَا　　　بلبيك ربا و الركائب تسعف

نظرت إليها و المطي كأنما　　　غواربها منها معاطس رعف[237]

– و قول ابن أبي الرجال (-426 هـ) معاتبا :

و لني لأطري كل خل صحبته　　　و أنت ترى شتمي بغير حياء 3

و قول ابن الربيب (- 420 هـ) مادحا :

و لما التقى الجمعان و استمطر الأسى　　　مدامع منا تمطر الموت و الدما 4

ب – البحر السريع : مستفعلن ، مستفعلن ، مفعلات

1[236] : الخريدة ، الأصفهاني ، ج 1،ص 179.

[237] : *أنموذج الزمان، ابن رشيق، ص* 211.

3:: *العمدة ، ابن رشيق ،* ج 2 ، *ص* 114 .

4 : *انباه الرواة ، القفطي* ،ج 1 ، *ص* 403.

و من ذلك ما قاله ابن رشيق (390هـــ - 456هـــ) متغزلا:

و فاتن الأجفان ذي وجنة كأنها في الحسن ورد الرياض [238]

و قول يوسف بن مبارك مادحا :

هناكم النصر و نيل النجاح في يومكم هذا بسمر الرماح [239]

ج – البحر البسيط :مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن ، فعلن .

و منه ما قاله ابن أبي العرب الخرقي هاجيا :

عبد تكلف شتمي و هو يشرق بي يبغي بذلك من عشاقه سببا [240]

و ما قاله ابن أبي الرجال (-426 ه) مفتخرا:

يا آل شيبان لا غارت نجومكم و لا خبت ناركم من بعد توقيد [241]

د – البحر الوافر : مفاعلتن ، مفاعلتن ، مفاعل

-

نجد منه، ما قاله الأمير يحيى بن تميم (-509ه) واصفا:

رأيتك قاعدا على كل خير و أنت الشهم في قالوا و قلت [242]

ه – البحر الكامل : متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن

- و من ذلك ما قاله ابن رشيق (390ه - 456ه)راثيا :

كم كان فيها من كرام سادة بيض الوجوه شوامخ الإيمان [243]

و – البحر المتدارك : فاعلن ، فاعلن ، فاعلن ، فاعلن

---

[238] : الديوان ، محي الدين ديب ، ص 87.

[239] : الخريدة ، الأصفهاني ، ج 1 ، ص 183.

[240] : أنموذج الزمان ، ابن رشيق ، ص 247.

[241] : العمدة ، ابن رشيق ، ج 2 ، ص 95 .

[242] : الخريدة ، الاصفهاني ، ج 1 ، ص 114.

[243] : الديوان ، محي الدين ديب ، ص 114.

– و ذلك ما وجدناه في منفرجة ابن النحوي (433هـ – 513 هـ) ، و مما جاء فيها :

لابد لضيق من فرج و الصبر مطية كل شجي و بدعوة أحمد فابتهج

اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلج[244]

ز –بحر الرمل : فاعلاتن ، فاعلاتن

– و من ذلك ما قاله أبو بكر الصولي هاجيا :

كل سوسي بسوسه نفسه نفس خسيسه[245]

فقد كانت البحور المسبوق ذكرها ، الأكثر تداولا في مختاراتنا الشعرية الصنهاجية ، أما وزن الإيقاع الأكثر جريانا كان ، فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعل، و المندرج ضمن سلم البحر الطويل ، ثم تلاه السريع بايقاع وزنه ،مستفعلن ، مستفعلن ، مفعلات،فالبسيط،مستفعلن،فاعلن ، مستفعلن ، فاعلن ، ثم الكامل ، متفاعلن،متفاعلن،متفاعلن ، و الوافر ،مفاعلتن، مفاعلتن ، مفاعل ، ثم تلى كل ذلك ما كان متداولا آنذاك من البحور الخليلية المعروفة الأخرى ، و إن كان الملاحظ فيهم استعمال إيقاعات الأوزان الفخمة الطويلة ، و لا سيما إيقاع الوزن الطويل ، السريع ، الوافر والكامل، و هي الأكثر شهرة في الشعر العربي المشرقي ، كما يتميز إيقاع الوزن الطويل في السلالم الإيقاعية بقدرتها على التعبير عن الآهات و الأحزان و الأصوات المحمومة المقهورة[246]، و التي تنتاب مريدها ، فوجدنا قول عمر بن فلفول (515هـ – 547هـ) :

قالوا نَأَى عنك الحَبِيبُ فما الذي تراه إذا بان الحبيب المواصل[247]

و الذي جاء جو مقطوعته هذه عاكس لحالة النوى و الهجران المدعاة لحزن شاعرنا فاستدعت استعمال كهذه الإيقاعات لتماشيها و نفسيته . و الشيء نفسه ، وقفنا عليه عند مرثية ابن رشيق (390هـ– 456هـ) ، و التي جاء في مطلعها :

كم كان فيها من كِرَامٍ سادة بيض الوجوه شَوَامِخِ الإيمان[248]

---

[244] : عنوان الدراية ، الغبريني ، ص ، 272 – 274.

[245] : أنموذج الزمان ، ابن رشيق ، ص 98.

[246] : دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي ، عبد الملك مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 41.

[247] : الخريدة ، الأصفهاني ، ج 1 ، 179.

[248] : الديوان ، ابن رشيق ، ص 144.

فما جرى فيها من ايقاع الوزن الكامل ، دعانا نلمس حالة الحسرة و القهر التي انتابت شاعرنا عن بلده القيروان ، و هو نفسه ما وُجد في قصيدة ابن القاضي ميلة :

و لما التقينا محرمين و سَيْرُنَا بِلَبَيْكَ ربا و الركائب تسعف[249]

لنلمس أن هذه الإيقاعات الطوال تلاءمت و طبيعة هته النفس الحزينة المكلومة من هذا الصد و المنع . فعكست لنا كهذه الإيقاعات الطوال العاطفة الصادقة، و الشعور الصافي ، البعيد كل البعد عن أي كلفة أو تصنع ، وهذا نفسه ما ذهب إليه عبد الملك مرتاض حين قال:"وإذن فالإيقاع المؤثر ، في أي قصيدة من القصائد إنما يخضع في رأينا ، لشيء داخل أغوار النفس لا إلى حركة الجمل الذي مهما لاءمت مشيته ، ايقاع البيت الشعري العربي،فإن ذلك لا يكون إلا سطحيا خادعا إذا ما قسناه بعالم النفس الداخلي الذي يكون وراء قرض القصيدة على ايقاع معلوم "[250]، لكننا كثيرا من الأحايين تجدنا نلقى أن الإيقاع يعكس لنا شعور صاحبه فيعكس لنا ذلك شيئا من العمق في القصيدة و الجوهرية ، باعتبار اقتران بعض الأصوات ، وحالة الإنسان كصوت الهاء مثلا والذي يعد صوتا حلقيا عميق المخرج من الجهاز الصوتي، فإذا ما قلنا مثلا : وامصيبتاه مكننا أن يعكس لنا صوت الهاء،العميق المخرج، وعمق هذه المصيبة في النفس المبتلاة و قد كان ايقاع الوزن : فعولن – مفاعيلن – فعولن – مفاعيل ، و المندرج ضمن سلم البحر الطويل ،البحر الذي أخذ النصيب الأوفر من الشعر الصنهاجي ، ما قاله : عبد الملك مرتاض:"فالإيقاع:فعولن،مفاعيلن،فعولن، مفاعيل، و هو الذي يعرف في علم العروض بالإيقاع الطويل و يمثل هذا الإيقاع الشموخ والفخامة والفحولة والرصانة في الشعر العربي، حتى إن ثلاثا من المعلقات السبع اتخذت لها هذا الإيقاع سبيلا مما يجعلها ، تميل الى أن الشعراء كانوا حين يزمعون على قرض قصيدة عصماء ، كانوا غالب ما ينطقون من هذا الإيقاع ابتداء من شيخهم امرئ القيس،إلى حكيمهم زهير ،إلى فتاهم طرفة ، ولقد لاحظنا أن كثيرا من عيون الشعر قيلت في هذا الإيقاع "[251] ، ليبين ما جاء به الباحث ، السبب الذي دفع شعراء صنهاجة النظم على وزن البحر الطويل أكثر من غيره من البحور، والدافع وراء أخذ هذا البحر النصيب الأوفر من قريضهم .

---

[249] : أنموذج الزمان، ابن رشيق ، ص 211.

[250] : دراسة سيمائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي – عبد مالك مرتاض ،ص 41.

[251] : المرجع السابق، ص نفسها.

و الوزن هو القيمة الإيقاعية اللافتة في النص الشعري [252] ، و هذا ما عكس من هذه الجولة بين معطيات الأوزان الشعرية الصنهاجية و إيقاعاها ، كما لمسنا شعراء الفترة الصنهاجية تنتقي في البحور الطويلة الرثاء و المدح و الفخر و الحنين و في القصيرة الغزل ، و هذا تحديدا ما كانت تستحسنه العرب[253] .

و للإبانة عما نعني به الوزن و الإيقاع ، نورد رأي عز الدين إسماعيل عن ذلك ، حيث يقول:" و الإيقاع فيه أمر لازم بخلاف الوزن ، الإيقاع هوحركة الأصوات الداخلية التي لا تعتمد على تقطيعات البحر ، أو التفاعيل العروضية ، و توفير هذا العنصر أشق بكثير من توفير الوزن ، لأن الإيقاع يختلف باختلاف اللغة و الألفاظ المستعملة ذاها ، في حين لا يتأثر الوزن بالألفاظ الموضوعة فيه ، تقول عين و تقول مكانها بئر ، و أنت في مأمن من عثرة الوزن ،أما الإيقاع ، فهو تلوين صوتي صادر عن الألفاظ المستعملة ذاها ، فهو يصدر أيضا عن الموضوع في حين يفرض الوزن على الموضوع ، هذا من الداخل ، و هذا من الخارج"[254]، باعتبار أن الأوزان كلها شبيهة الأصوات ، أي الحروف ، فهي لا تخرج عن : ف – ع – ل – ت – س – م – أ – و – ي , و إن وجد اختلاف في ترتيبها ، في حين يُلْفَى في الإيقاع اختلاف أصواته و التي يختارها الشاعر غالبا و ما يتماشى مع حالته النفسية .

و مما يحبذ توافره في الإيقاع حتى يأخذ صورته الكاملة :

1 – التوازن : و هو يحدث في الصورة الصوتية للكلمات ، حين يتوازن كل لفظ صوتيا مع اللفظ المقابل له[255]

و مما جاء على هذه الصورة في الأدب الصنهاجي :

أ– شعرا :

ما قاله يوسف بن مبارك مادحا أحد موالي بني حماد :

و تبذلون الرفدُ يوم الندى و تسعرون الحربُ يوم الكفاح[256]

كما نجد ذلك عند القلعي الأصم في مدحه لبني الأشقر ، حين قال :

و ماذا الندي و الوقت ُبالصيفِ حائمُ و ماذا السناَ و الجوُ بالليلِ فاحمُ

و كذا قوله في القصيدة ذاها :

---

[252] : ينظر ، جماليات الأداء الفني ، محمد مصطفى أبو الشوارب و احمد محمود المصري ، دار الوفا ، ط 1 ، 2006 ، ص 68.

[253] : ينظر ، الأسس الجمالية في النقد ، عز الدين إسماعيل ، ص 316.

[254] : المرجع نفسه ، ص 315.

[255] : نفسه ، ص 189.

[256] : الخريدة ، الأصفهاني ، ص 183.

و في ذا الحي المأمولِ يأمنُ خائفٌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ ‌ و في ذا الندى المعسولِ ينقعُ حائم''[257]

على أن هذا التوازن لم يأت على صورة أحسن و أكمل ، باعتبار أن الألفاظ تبدو متعادلة،لكن الفواصل على أحرف مختلفة المخارج ، أما اذا اكتملت صورة هذا التوازن،بفواصل جاءت متحدة المخارج ، سمي ذلك بالتصريع[258] ، فهذا النوع من التوازن متصل بالألفاظ و أصواتها.على أننا لم نقف على نموذج كامل لهذا النوع من التوازن فيما اطلعنا عليه من مختارات شعرية .

2 – التكافؤ : فهو يعني التوازن في المعاني [259] ، وهوما كان يعرف قديما بالمقابلات وذلك بما تعلق بتقابل جملة مع أخرى التي تليها أوما عرف بـــ: التطبيق ، وهو في تقابل جملة كلمة مع أختها التي تقابلها "فالتطبيق هو أن تكون الكلمة ضد الأخرى "[260]، ومن نماذج ذلك في الشعر الصنهاجي:

ما قاله الحصري القيرواني (453هـــ) متغزلا:

أورد قلبي الردى ‌ ‌ ‌ ‌ لام عذار أبدا} أسود≠أبيض

أسود كالكفر في [261] ‌ ‌ ‌ ‌ أبيض مثل الهدى}الكفر≠الهدى

وقول الحصري الكفيف (فراره للأندلس عام 450هـــ).

حسام عينيك من فتورها[262] ‌ ‌ ‌ ‌ كأنه مغمد ومسلول

مغمد ≠ مسلول

ب– نثرا:

أما عن النماذج النثرية الصنهاجية ، فإننا نجد أولا في التوازن ، ما جاء في خطبة القاضي عياض الدينية والتي يقول فيها : "فاتحة لأقفال قلوبنا ، راجحة بأثقال ذنوبنا ..." عتوا "عتوا على الله تعضموا و استطالوا ..."[263]

---

[257] : المصدر نفسه ، ص 338.

[258] : ينظر ، الأسس الجمالية ، عز الدين اسماعيل ، ص 190.

[259] : المرجع السابق،ص 194.

[260] : البديع في البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقد ،ص 63.

[261] :الذخيرة ، ابن بسام الشنتريني ، ج 7و 8،ص 378.

: الخريدة ، الأصفهاني ج 1،ص 194.

[262] : المصدرنفسه، ص 177.

[263] نفسه ،ص 194.

. : الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب ، ج 4 ، ص 193.

- **القافية:** و هي على ثلاثة أنواع، أما الأول فيسمى:

أ – الذلل : " هو ما على ألسن الشعراء مثل : الباء و التاء و الدال و الراء و العين و الميم والياء المتبوعة بألف الإطلاق و النون في غير تشديد و الفاء و الجيم و الحاء و السين"[264]،ومن أمثلة هذا النوع من القافية في الشعر الصنهاجي ، ما وجد عند القزاز القيرواني
(– 412هـ) معاتبا عبد الوهاب ، و مما جاء فيها :

واحسرتاه مات أترابي و أقراني و شتت الدهر أصحابي و أخداني[265]

و ما جاء في مرثية ابن رشيق (390هـ – 456هـ) ، و ذلك حين قال :

كم كان فيها من كرام سادة بيض الوجوه شوامخ الإيمان[266]

و ما قاله الأمير تميم بن المعز (– 510هـ) واصفا :

رأيتك قاعدا على كل خير و أنت الشهم في قالوا و قلت[267]

و أما عن أجود القوافي ، فقد قيل : " و الميم و اللام من أجود القوافي لسهولة مخارجها وتليها الباء و الراء و الدال و الياء المتبوعة بألف الإطلاق ، و ياء المتكلم و الجيم والحاء والسين و الفاء و القاف"[268] ، و هي الأخرى وجدناها في الشعر الصنهاجي ، و من أمثلة ذلك، فمن قافية الميم نجد :

* ما قاله ابن الربيب (– 420هـ) راثيا :

يا قبر لا تظلم عليه فطالما جلي بغرته دجى الإظلام

أعجب بقبر قيس شبر قد حوى ليثا و بحر ندى و بدر تمام[269]

*ما قاله ابن مليح الطبيب (–405) مادحا :

و جالت به جرد المذاكي كأنها عذارى و لكن نطقهن تحمحم [270]

و من قافية اللام نجد :

* ما قاله الحصري الكفيف (فراره إلى الأندلس عام 450هـ) متغزلا :

---

264 : محاضرات في موسيقى الشعر ، زبير دراقي و عبد اللطيف شريفي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 110.

265 : انباه الرواة ، القفطي ، ج 3 ، ص 85.

266 : الديوان ، محي الدين ديب ، ص 144.

267 : الخريدة ،الأصفهاني ، ج 1 ، ص 144.

268 : محاضرات في موسيقى الشعر ، زبير دراقي و عبد اللطيف شريفي ، ص 110.

269 : أنموذج الزمان ، ابن رشيق ، ص 114.

270 : الخريدة ، الأصفهاني ، ج 1 ، ص 184.

من لي بضبي جناه معسول   دمي بدمعي عليه مسلول[271]

ب – النفر :"هو ما قل على ألسنة الشعراء ، كالصاد و الزاي و الضاد و الطاء و الهاء الأصلية و الواو "[272] ، ومن أمثلة هذا النوع من القافية في الشعر الصنهاجي :

* ما قاله ابن رشيق (390هـ- 456هـ) متغزلا :

– و فاتن الأجفان ذي وجنة   كأنها في الحسن ورد الرياض[273]

على أننا نقف على استعمال محتشم لمثل هذه القوافي في الشعر الصنهاجي .

ج – الحوش : " هو ما كان مهجورا غثا في الاستعمال ، نحو الثاء ، الخاء،الذال،الشين،الظاء، الغين "[274] ، و الشيء نفسه ما وجدناه في الشعر الصنهاجي مع هذا النوع من القوافي ، فقد هجره الشعراء ، و لم نقف و لا على مثال لهذا النوع من القافية ، أما عن سبب نبذ استعمال كهذه القوافي ، فقد بينه عبد الملك مرتاض حين قال :" لكن عزوفهم عن أمثال الثاء و الظاء و الضاد و الشين و الجيم ، إلا لقلة الألفاظ التي تنتهي بها في اللغة العربية ، و قد اضطرهم إلى ذلك ما كان الشعر العربي المألوف يستدعيه من صوت خارجي وهو الروي "[275] ، و بمقابل ما نبذ العرب استعماله ، حبذوا من القافية ما كان جاريا على الألسن ، مستحسنا في السمع ، و عن ذلك قال صاحب البديع : " و تهذيب القافية ، أن تكون سلسة المخرج ، مألوفة ، فإن القوافي حوافر الشعر "[276] ، باعتبار أنها الجزء اللافت لانتباه المتلقي و التأثير فيه . ومن نماذج ذلك في الشعر الصنهاجي ، ما جاء في القصيدة الغزلية للحصري الكفيف (فراره عام 450هـ من القيروان) ، و التي مطلعها:

يا ليل الصب متى غده   أقيام الساعة موعده؟[277]

و ما قاله القزاز القيروان (– 412هـ) معاتبا :

واحسر تاه مات أترابي و أقراني   وشتت الدهر أصحابي و أخداني

وعيرت غير الأيام خالصتــــــي   والمنتضى الحر من أهلي وإخواني[278]

---

[271] : الذخيرة، ابن بسام ، ج 7 – 8 ، ص 177.

[272] : محاضرات في موسيقى الشعر ، زبير دراقي و عبد اللطيف شريفي ، ص 111.

[273] : الديوان ، محي ديب ، ص 49.

[274] : محاضرات في موسيقى الشعر ، زبير دراقي و عبد اللطيف شريفي ، ص 111.

[275] : دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي ، عبد الملك مرتاض ، ص 51.

[276] : البديع في البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ ، ص 405.

[277] : وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، مج 3 ، ص 332- 333.

[278] : انباه الرواة ، القفطي ، ج 3،ص 85.

ومما يحبذ أيضا استعماله في القافية ،ما يعرف بـــ:

التسهيم: " اعلم أن التسهيم هو أن تعلم القافية ، لما تدل عليه الكلام في أول البيت، "[279] ومن أمثلة ذلك في الشعر الصنهاجي : ما قاله ابن رشيق (390هـــ 456هـــ) هاجيا :

يا موجعي شتما على أنه[280] لو فرك البرغوث ما أوجعا

2 – الروي :

وهو أحد حروف القافية ،وعن أكثر الرويّيّات استعمالا ، جاء بها عبد الملك مرتاض حين قال: " اهتدينا إذن إلى أن الأصوات الرائية و البائية و النونية و اللامية و الدالية من أكثر الرويّات استعمالا في الشعر العربي إطلاقا ، حيث كنا لاحظنا مثلا أن أبا الطيب اصطنع صوت اللام في سبع و أربعين قصيدة و الميم في إحدى و أربعين و الدال في أربع و الثلاثين والباء في ثلاث و ثلاثين و الراء في إحدى و ثلاثين و النون في العشرين "[281] ، وهذا نفسه ما ألفينا استعماله من الرويات في الشعر الصنهاجي ، فجرى تداول : النون واللام والميم والراء والباء وهلم جرا من الرويات الأكثر سريانا عند العرب ، ومن نماذج ذلك:

ما قاله ابن أبي الرجال(- 426هـ) مفتخرا:

يا آل شيبان لا غارت نجومكم ولا خبت ناركم من بعد توقيد أنتم دعائم هذا

الملك مذ ركضت قبل الخيول لإبرام وتوكيد[282]

قول الحصري الكفيف (فراره عام 450هـــ) راثيا :

رحلت وهاهنا مثوى الحبيب فمن يبكيك يا قبر الغريب

سأحمل من ترابك في رحالي[283] لكي أغنى به عن كل طيب

و ما قاله أبو حفص عمر بن فلفول (515هـ- 547هـ)متغزلا:

قالوا نأى عنك الحبيب فما الذي تراه إذا بان الحبيب المواصل

فإن أنت أحببت التصبر بعده[284] ولم تستطع صبرا فما أنت فاعل

---

[279] : البديع في البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ،ص 405.

[280] : ديوان ابن رشيق ، محي الدين ديب ،ص 91.

[281] : دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أبي ليلاي، عبد المالك مرتاض ، ص 50.

[282] : **العمدة ، ابن رشيق ، ج 2 ، ص 95 .**

[283] : الذخيرة ، ابن بسام الشنتريني ،ج 7و 8 ، ص 186.

[284] : الخريدة ، الأصفهاني، ج 1،ص 179.

وإن دل هذا الاستعمال للقوافي الأكثر تداولا عند المشارقة على شيء ، إنما هو دليل على أن شعر الفترة الصنهاجية كان أدبا عربيا بامتياز ، فاق الحدود التي لطالما حوول وضعها بين المشرق و المغرب .وعن دلالات الأصوات الممدودة ، ولاسيما الحلقية منها وما تعكسه من حالة نفسية لصاحبها ، بينها عبد الملك مرتاض ، حين قال : "إن الهاء حرف حلقي عميق،يكاد يخرج من أعماق الجهاز الصوتي ، وهو نتيجة لذلك يحمل في طياته دلالة أخراة هي التعبير عما يكمن في النفس من حزن وألم وشقاء ، ولو كان الأمر يتعلق مثلا بصوت أخر ممدود كالباء أو التاء أو الكاف أو اللام ، لما كان لوروده دلالة عميقة تذكر، ولكن لما كان هاء ، فقد استطاع أن يعكس الحزن و القلق و الفزع والألم جميعا[285] ، وخير نموذج عما جاء به عبد الملك مرتاض في الشعر الصنهاجي ، ما جاء **في** قصيدة الحصري الضرير (فراره عام 450هـ) الغزلية ، و التي قال في مقدمتها الشهيرة :

يا ليل الصب متى غده   أقيام الساعة موعده؟[286]

فكان ما ذهب إليه عبد الملك في قصيدة الحصري الضرير (فراره عام 450 هـ) ، هذه ليعكس لنا صوت الهاء الحزن و الألم و الحرمان الذي خَخَلَّفَهُ هذا الهوى في نفس الشاعر .

و مما لوحظ على البنية الإيقاعية مذ بداية الحديث عن الإيقاع هو نفسه ما ذهب إليه الصباغ حين قال : " يمثل الإيقاع صفة جوهرية بارزة في الكتابة عند أحد الرواد في القدرة على اكتشاف الجانب الجمالي و الوجداني من الحياة و التعبير عنه بالكلمات المنغمة و من ثم أصبحت البنية الإيقاعية التي لا تنحصر في الوزن و القافية بطبيعة الحال هي العامل البنائي المسيطر في بيت الشعر و الذي يعدل و يكيف بقية العناصر ، و يمارس بالتالي تأثيرا حاسما على جميع مستويات هذا الشعر الصوتية و الحرفية و الدلالية "[287] .

.بمعنى أن جمالية الإيقاع لا تكمن في إلزام الوزن فيه ، كما كان سائرا أيام الفترة الصنهاجية، من أوزان شعرية مشرقية ، بل الأهم من ذلك الالتزام الوزني أن يعبر الإيقاع المختار لنظم قصيدة ما على ما كان يجول في خاطر صاحبه و يعكس الجانب الحياتي المعاش، و هذا نفسه ما وجدناه في بعض الإبداعات الشعرية الصنهاجية خاصة فيما تعلق بمرثياتهم لمدينة القيروان والعكس صحيح بالنسبة للقافية .

أما عن بنية النص الأدبي الصنهاجي ، و لا سيما الشعري منه ، فقد انتمت إلى البنية التقليدية من حيث الشكل ، فقد جاءت النصوص الشعرية عمودية إيقاعها يعتزي إلى إيقاعات الخليلية، كما أن خصائصها

---

[285] : دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي ، عبد الملك مرتاض ، ص 159.

[286] : وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، مج 3 ، ص 332.

[287] : جماليات الأداء الفني، محمود المصري و محمود أبو الشوارب ، ص 67.

الفنية أبانت لنا عن إتباعها الأسلوب العربي ، بالتزام وحدة الوزن والقافية و استخدامها للبحور التقليدية .[288]

٣- الصورة الشعرية:

و هي الأخرى من الأدوات المستعان بها حتى يتنسى للأديب توصيل فكرته المراد تبليغها من خلال إبداعه الفني ، وقد جعلت هي كذلك قياسا لشعرية العمل الفني و أدبيته وعن ذلك يقول ابن طباطبا:" واعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم،وأحاطت به معرفتها و أدركه أعيانها ، ومرت به تجارها وهم أهل وبر ، صحونهم البوادي وسقفهم السماء ، فليست تعدو أوصافهم مارأوه

---

[288] : ينظر ، الأدب في عصر دولة بني حماد ، محمد أبو الرزاق ،ص 149.

عنها وفيها "[289] ليستشف مما جاء به ابن طباطبا، دور البيئة في الإبداعات الأدبية وتأثيرها فيها ، وفي من يحاكيها في إبداعاته،لينحى ابن قتيبة المنحى نفسه ، حين يقول : "وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام ، فيقف على مترل عامر أو يبكي عند مشيد البنيان ، لأن المتقدمين وقفوا على مترل الداثر و الرسم العافي ، أو يرحل على حمار، أو بغل أو يصفهما ، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة و البعير ، أو يرد على المياه ، العذاب الجواري ، لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامي"[290] فحتى ما ألفت العرب الوقوف عليه من أطلال ووصف الرحلة و النوق المستخدمة في هذه الرحلة و غيرها مما اعتاد الشاعر العربي القديم الوقوف عليه ، وهو ما جاء به ابن قتيبة، فانا نلمس أنه لا يخلو، مما كان يحيط المبدع وكان يعاينه ويدور حول فلكه ، من مظاهر طبيعية ووسائل معتمد عليها ، وعن تأثير البيئة هذا في الإبداعات الأدبية. قال ابن الرشيق"وحدثني بعض أصحابنا من أهل المهدية ، وقد مررنا بموضوع كان يعرف بالكدية ،هو أشرفها أرضا ، وأطيبها هواء ، قال: جئت هذا الموضوع مرة ، فإذا عبد الكريم على سطح برج هناك قد كشف الدنيا ، فقلت : أبا محمد؟ قال:نعم، قلت : ما تصنع ها هنا ؟ قال ألقح خاطري و أجلو ناظري ، قلت : هل نتج لك شيء؟ قال: ما تقر به عيني إن شاء الله سبحانه و أنشدني شعرا يدخل مسام القلوب رقة"[291] ، ليأتي ابن الرشيق بهذا الرأي بكلام لا غبار عليه عما تفعله الطبيعة وجمالها وعن الانعكاسات البادية حقا في الإبداعات الأدبية ، لمن أثرت فيه بيئته المعاش فيها ولاسيما الطبيعة منها.وإن لنا من النماذج التي تعكس هذا التأثير في الأدب الصنهاجي ما يعبر بصدق عما ذهب إليه النقاد العرب ومن تلك النماذج:

أ – نثرا:

ما جاء في رسالة الحصري الضرير(فراره عام 450هـ) حيث قال: " **ومن لا زال النسيم في البكر والعشيات ، يهدي إليه طيب التحيات ....**"[292] فقد جاء فيها استعارة ضمنية،لدوام ذكر الحصري لصديقه هذا وعدم نسيانه له.

---

[289]: عيار الشعر ، ابن طباطبا ،ص 48.

[290] : الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ،ت.عمر الطباع ،شركة الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت- لبنان ، ط 1 ،1418هـ ، ص 32.

[291] : العمدة ، ابن الرشيق ،ج 2،ص 215.

[292] : الذخيرة، ابن بسام ، ج 7و 8، ص 171.

- ما جاء في رسالة ابن ربيب (-420ه) حيث قال :"....**ليس بيننا وبينكم غير روحة راكب أو رحلة قارب....**"[293] **فقد جاء ابن الربيب (-420ه)** بقوله هذا بكناية عن قرب المسافة بين المغرب الأندلس ، وكذا عن الاتصال الذي كان آنذاك بينهما في المجالات جميعهما.

وما وجد من تشبيهات في الحكم ابن شرف(460ه) ومن ذلك:

***العالم مع العلم كالناظر في البحر.**

***الفاضل في زمان السوء كالمصباح في البراح.**

***المتلبس بمال السلطان كالسفينة في البحر** ، **التعليم فلاحة الأدبان** .....[294] ،فكل ما جاء به من تشبيهات في حكمه كان ذا اتصال وثيق بالبيئة التي عاش فيها .

ب – شعرا :

ومن أمثلة هذه الصور:

- ما جاء على لسان الأمير تميم بن معز(- 501ه) قال متغزلا:

سل المطر العام الذي عم أرضكم [295]	**أجاد بمقدار الذي فاض من دمعي**

فجاء باستعارة في بيته هذا، ليعكس مقدار الحزن و البكاء الذي لاقاه بسبب هذا الهجران فجاء في البيت الأول باستعارة عن حلاوة كلام هذا الأمير وحسنه وجمال، من بيان وفصاحة في الكلام، معبرا عن غنى حاشيته وترفها،أما البيت الثاني فجاء فيه بتشبيه بليغ ، وذلك عما كان يتبوؤه هذا الأمير من مقام عال.

وقول الأمير: أبو يحيى بن تميم بن المعز(501هـــ) واصفا:

وقد يعد الوعود وليس يوفي	**وليس بقائل يوما فعلت**
كخز الماء فوق الماء طاف	**يروق و ماله أصل و نبت**
كذلك زهرة الدفلى تراها	**تشوق العين حسنا وهي سحت**[296]

و من الأمثلة أيضا :

ما قاله ابن أبي مليح الطبيب (- 405ه) واصفا :

و جالت به جرد المذاكي كأنها	**عذارى و لكن نطقهن تحمحم** [297]

وذلك فيما شبهه من الخيول بالعذارى.

---

[293] :نفح الطيب، المقري،ص 140.

[294]: الخريدة ، الأصفهاني،ج 2،ص 174.

[295] :وفيات الأعيان، ابن خلكان ،ج 1، ص 305.

[296] :المصدر السابق، ص 144.

[297]: نفسه، ص 184.

كما أن لنا في المنفرجة لصاحبها ابن النحوي (433هـ-513هـ) النموذج الذي شمل جل الصور البيانية و الأساليب البديعية ، وذلك لما حوته منها، ومن ذلك:

اشتدي أزمة تنفرجي قد أذن ليلك بالبلج

فمن الأساليب البديعية ، الطباق وذلك في : اشتدي ≠ تنفرجي ، ليلك ≠ البلج .

و كذا قوله :

شهدت لعجائبها حجج قامت بالأمر على الحجج[298]

و هو تجنيس بين حجج (البراهين) و الحجج (السنين)

كما أنها جاءت ملئ بالاستعارة ، و من ذلك قوله :

اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلج

و نزولهم و طلوعهم فإلى درك و إلى درج

و إذا انفتحت أبواب الهدى فاعجل بخزائنها و ج [299]

فقد وصف في هذه الأبيات استعارة عن قرب الفرج ، أما الأخرى تمثلت في الترغيب على اغتنام الفرص لدعاء الله ، و تخير ساعات استجابة الدعاء .

فكل ما سبق ذكره من نماذج أدبية صنهاجية ، سواء أكانت نثرية أم شعرية ، عكست هذا الاتصال الوثيق بين هذا الإبداع و ما كان محيطا به آنذاك و لا سيما المحيط الطبيعي منه، متجاوزين بذلك وصف البوادي و الفيافي و المبيت في الخلاء و ما سواها ، فالصورة الشعرية استمدت مادتها من بيئتها التي تكسوها الرياض و الحدائق و الأزهار و النسيم ويغذيها الماء المدرار و المطر المهدار ، و تكتنفها الأنهار و البحار التي تنتشر على صفحاتها القوارب و الأفلاك، و عن تأثير البيئة هذا ، قال محمود مصطفى : " و للبيئة بصمتها الخاصة التي تطبع الأديب بطابعها الخاص و سماتها المتميزة "[300] .

لتمثل كل ما جاء في الصورة الشعرية سطحا ، لما كان مقصودا وراء تلك الصورة ،و في ذلك قال عز الدين إسماعيل: " فكل عمل فني له سطح هو إنما يسمى بالسطح الجمالي، وهو المقصود بالصورة الأولى ووراء هذا السطح شيء يفهم أو يحس ، و هو المقصود بالصورة الثانية "[301] ، و هذا بالتحديد ما حملته لنا الصورة الشعرية الصنهاجية ، أما الأولى فتمثلت فيما قاله المبدعون من تشابيه بصور ترى و هي

---

[298] : عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 172 – 178.

[299] : المصدر السابق ، ص نفسها .

[300]– : قضايا الإبداع الفني ، محمد أبو الشوارب و محمود المصري ، ص 09.

[301] : الأسس الجمالية ، عز الدين إسماعيل ، ص 145.

معروفة عند عامة الناس (كالشمس و البحر والروض البهيج و القارب) و غيرها من التشابيه ، لكن ما كانت تعكسه ، هو ما يفهم منها ، و ما يراد توصيله من مرام و مبتغى .[4]

فما جاء به شعراء الفترة الصنهاجية من مادة تصويرية جاء فيها استعمال عناصر الطبيعية الدالة و الموحية للحالة السياسية و النفسية و الاجتماعية ، بمعنى جاء توظيفها دلاليا وايحائيا، لتعبر عن البعد الدلالي العميق في النص . و من نماذج هذه المادة التصويرية :

قول الحصري الكفيف (فراره عام 450هـ) راثيا :

ما إن سجا الليل إلا زادني شجنا[302]	**واتبعت زعامتي فيه أناة**

وقول النهشيلي(404ه) واصفا :

سفائن أوصيغ السفين مثالها [303]	**فلم يبق إلا أن يموج بها الاجر**

وقول ابن شرف(460هـ) متغزلا،

و الليل يعجب و الظلماء داجية[304]	**من ساهر يتشكى الليل بالقصر**

وغيرها من النماذج الشعرية التي جاء فيها استعمال عناصر الطبيعية الدالة و الموحية للحالة السياسية و النفسية ، و الاجتماعية ، بمعنى جاء توظيفها دلالاليا و إيحائيا، لتعبر عن البعد الدلالي العميق في النص، لتحمل لنا الصورة الشعرية الصنهاجية شكلي:

الصورة الأولى	**الصورة الثانية**
الشكلية	الموحية

كما يلمس من الأدب الصنهاجي أنه حوى على جل ما كانت العرب تحبذ استعماله وتداوله في إبداعاتها، ومن ذلك نجد:

1- **التجنيس المغاير:**

" هو أن تكون الكلمتين اسما وفعلا"[305]

أ-نثرا :

فمن ذلك في النثر الصنهاجي، ما جاء في خطبة القاضي عياض (477هـ - 543هـ)

و التي قال فيها:"....**وذلك اليوم يذهل فيه الألباب وترجف رجفا**"[306]ترجف....رجفا

---

[302] : الذخيرة ، ابن بسام الشنتريني ، ج 7و 8،ص 192.

[303] : أنموذج الزمان، ابن الرشيق،ص 176.

[304] :الخريدة، الأصفهاني، ج 2،ص 176.

[305] : البديع في البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ،ص 26.

[306]: الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين ابن خطيب،ج 4،ص 193.

2 – شعرا :

ما قاله ابن أبي الرجال (426هـــ) مفتخرا:

المنعمون إذا أزمة أزمت[307]   و الواهبون عتيقات المواويد

أزمة / أزمت

2– ا:لتجنيس المماثل"هو أن تكون الكلمتين اسمين أو فعلين [308]، ومن ذلك ما جاء في رسالة يوسف بن تاشفين.حين قال:" تحية من سالمكم وسلم إليكم "[309] سالمكم = سلم.

3– **تجنيس التصحيف**:"اعلم أن التجنيس التصحيف هو أن تكون النقط فرقا بين الكلمتين"[310]، ومن أمثلة ذلك ، ما جاء به الحصري الكفيف(فراره من القيروان 450هـــ) حين قـــــال متغزلا:

من لي يضي جناه معسول[311]   دمي بدمعي عليه مغسول

4– **تجنيس التصريف**: " اعلم أن تجنيس التصريف هو أن تنفرد كل كلمة من كلمتين عن الأخرى بحرف"[312] ، ومن أمثلة ذلك ما جاء به ابن شرف(460هـــ)حين قال راثيا:

وعجيج وضجة كضجيج الـــ [313]   خلق يبكون و السائر تبلى

5– **الاحتراس**، "واعلم أن الاحتراس هو أن يكون على الشاعر طعن، فيحترس منه"[314]

ومن ذلك في الشعر الصنهاجي، ما جاء به ابن أبي مليح الطبيب ، حين قال مادحا:

جالت به جرد المذاكي كأنها[315]   عذارى ولكن نطقن وتحمهم

فبعد أن شبه الشاعر الخيول بالعذارى احترس فقال: لكن نطقهن تحمحم.

---

[307] : العمدة،ابن الرشيق، ج 2،ص 95.

[308] : البديع في البديع في النقد ، أسامة بن المنقد ،ص 34.

[309] : البيان المغرب ، المراكشي،ج 4 ،ص 113.

[310] : البديع في البديع، أسامة بن المنقد ،ص 30.

[311] : الذخيرة ، ابن بسام ،ج 7و 8،ص 177.

[312] : البديع في البديع، أسامة بن منقد،ص 41.

[313]: الذخيرة، ابن بسام، ج 7و 8، ص 158.

[314] : البديع في البديع، أسامة بن المنقد ،ص 90.

[315] :الخريدة، الأصفهاني، ج 1،ص 184.

6- التجزئة:"هو أن يكون البيت مجزأ إلى ثلاث أجزاء أو أربعة"[316]ومن ذلك ما جاء به الأمير تميم بن المعز -501هـــ) حين قال:

خدود مثل الورد في ثغور [317] كدر في ثغور مثل الأس

7-التشعيب:" هو أن يكون في المصراع الثاني كلمة في المصراع الثاني كلمة في المصراع الأول"[318]، ومن ذلك ما قاله ابن الرشيق(390هـ - 456هـ) واصفا:

مالي ومزج والراح إلا في فمن[319] بالريف من فم غادة حسناء

8- التكليف و التعسيف:"وهو الإكثار من البديع كالتطبيق والتجنيس في القصد ، لأنه يدل على التكلف من المشاعر لذلك وقصده إليه"[320]،على أننا لم نقف على الإكثار من مثل هذه الأساليب البديعية في الأدب الصنهاجي ، وان كنا وقفنا على نماذج تنحوا هذا المنحى، لكنها جنحت إلى الاعتدال فيها، وعدم التزامها و التكلف في استخدامها .

9- باب الحل والعقد:"اعلم أن الحل و العقد هو أن يتناقل فيه الشعراء و الكتاب ، وهو أن يأخذ الناظم منثورا فينظمه أوشعرا فينثره" [321] ومن ذلك في الأدب الصنهاجي، ما ورد نثرا، في رسالة ابن دفرير(كان حيا عام 547هـ) و التي قال فيها: ".....**كمن يستشفى من داء بداء**..."[322] ، فلفظ المداواة بداء جاء نثرا لما كان قد سبق ذكره شعرا ، و ذلك عند أبي نواس حين قال :

دَدَعْ عنك لومي فإن اللَّوْمَ إغراء و داوني بالتي كانت هي الدَّاءُ [323]

هذا فيما اختص بالأبيات أما ، أما فيما تعلق ببناء القصيدة ، فقد كان يحبذ فيها،كما جاء به ابن طباطبا ، و ذلك حين قال : " بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها ، نسجا

---

[316]: البديع في البديع ، أسامة بن المنقد،ص 101.

[317]:وفيات الأعيان، ابن خلكان :مج 61، ص 305.

[318]: البديع في البديع بن أسامة بن منقد،ص 138.

[319] :ديوان ابن رشيق، محي الدين ريب، ص 38.

[320] : البديع في البديع ، أسامة بن منقد ، ص 237.

[321] :ديوان ابن الرشيق ،ت.محي الدين ريب،ص 38.

[322] : الخريدة ، الأصفهاني ، ج 1 ، ص 180.

[323] ، ديوان أبي نواس، دار صادر، بيروت ، ط 1 ، 2002 ، ص 7.

و حسنا و فصاحة و جزالة ألفاظ و دقة معان وصواب تأليف"[324] ، و خير مثال لما جاء به هذا الأخير في الأدب الصنهاجي ما جاء في قطعة أبو حفص بن فلفول (515 هـ- 547هـ) الشعرية الغزلية و التي قال في مطلعها:

قالوا نأى عنك الحبيب فما الذي تراه إذا بان الحبيب المواصل[325]

فحديثه عن التصبر هذا إزاء هجران خليله له ، بان منذ حديثة عن نأيه عنه ، فبدأ قطعته وختمها بالحديث ذاته (أي الضرورة للتصبر على ما حل به) .

و ثاني نموذج نورده في هذا المقام ، ما جاء به ابراهيم بن اسماعيل القيرواني مادحا ، وذلك حيت قال :

و له ذؤابة حمير و سناؤها و سنام يعرب الرفيع العالي[326]

ليلمس عنده هو الآخر ، اجادته في الاشادة بسلالة المعز العربية، و يلمس من القطعة الشعرية كلها نوعا من الترابط و التلاحم في ايراده لهذا المدح للمعز ، فكأني به يعطي لنا بداية البيت فكرته العامة من سلالته هذه ، ثم أخذ بعد ذلك يشرحها شيئا فشيئا .

٤- التناصات و الموازنات :

منذ أن عرف المغرب الإبداع الأدبي ، لطالما سعى لتقديمه في أبهى صوره ، فكان حتى وإن لم يصل به لدرجة تفوق الإبداع المشرقي ، كان دائما يحاول الوصول به إلى درجة توازيه في التفوق و الابداع ، باعتباره كان الند الأول و المباشر له ، فاستغل لذلك كل الوسائل ليوصله لمبتغاه ، و كان أحد أهم هذه الوسائل ما يعرف بالتناصات والمعارضات و قد كان القرآن الكريم أول و أكثر المصادر معارضة بالنسبة[327] للأدباء الذين عرفوا في الفترة الصنهاجية،فلمسناه في إبداعاتهم ، و قد أخذ هذا الأسلوب في الوقت الراهن مصطلحا آخر،فأضحى يعرف بتداخل الصوغ ، و عن هذا التداخل قال مصطفى أبو

---

[324] : عيار الشعر ، ابن طباطبا ، ص 167.

[325] : الخريدة ، الأصفهاني ، ج 1 ، ص 179.

[326] : انباه الرواة ، القفطي ، ج 1 ، ص 228.

[327] : جماليات الأداء الفني ، محمد أبو الشوارب و محمود المصري ، ص 65.

الشوارب:"فإن أغلب نماذج تداخل الصوغ تنصرف إلى محاذاة الصياغة القرآنية ، مستفيدة من البنية الدلالية التي يحملها التشكيل اللغوي للنص القرآني من خلال خصائصه الأدائية المعجزة " ، فإن ما وجد من تناص في الأدب الصنهاجي ، عكس بصورة واضحة ما رام إليه الباحث ، و فيما يلي إيراد لأهم هذه النماذج :

– ما جاء في خطبة القاضي عياض (477هـ- 543هـ) الدينية و التي كانت ملئ بالاقتباسات من القرآن الكريم ، و من ذلك قوله : " **ما اتخذ صاحبة و لا ولدا..** " ، تناص مع قوله تعالى"**وَ إِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَ لَا وَلَدًا** "[328] . و قوله أيضا: " **فإن من يهده الله فهو المهتد، و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** "[329] ، تناص مع قوله تعالى :" **وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَّزَّاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَ إِذَا غَرَبَتْ تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ مَنْ يَّهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدْ وَ مَنْ يُّضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا**"[330] .

– ما جاء في ابن العالمي (كان حيا عام 561هـ) حيث قال : " **و من يقترف حسنة تزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور** "[331] ، تناص مع قوله تعالى : " **ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرَ اللهُ عِبَادَهُ الْذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ، وَمَنْ يَّقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ** "[332]

– و ما جاء في رسالة علي بن يوسف بن تاشفين الديوانية ، حيث قال " **لا إلاه إلا هو عليه توكلت** "[333] ، تناص مع قوله تعالى : "**فَإِنْ تَوَلُّوا فَقُلْ حَسْبِي اللهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ** "[334] .

– و ما وقفنا عليه في وصية ابن النحوي (433هـ – 513هـ) قوله : " **تبدت ضاحكة مستبشرة** "[335] ، تناص مع قوله تعالى " **ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ** "[336] .

على أننا نقف على نوع من تداخل الصوغ ، و المتمثل فيما تداخل مركبه ، و هو ما جاء به أبو الشوارب حين قال :" و تكمن حيوية تداخل المركب في قدرته على اجتياز الحدود الفاصلة بين النص و

---

[328] : سورة الجن، الآية 3 .

[329] : الاحاطة ، لسان الدين بن خطيب ، ج 4 ، ص 193.

[330] : سورة الكهف ، الآية 17.

[331] : الخريدة ، الأصفهاني ، ج 1 ، ص 181.

[332] : سورة الشورى ، الآية 23.

[333] : البيان المغرب ، المراكشي ، ج 4 ، ص 64.

[334] : سورة التوبة ، الآية 129.

[335] : عنوان الدراية ، الغبريني ، ص

[336] : سورة عبس، الآية 39.

الفلذة النصية المتداخلة معه من خلال تأويلها داخل النص الراهن ، تأويلا يسلط الضوء على جوهر الرؤية في الخطاب الأصلي الذي تنتمي إليه هذه الفلذة /التركيب"[337]، و إن لنا فيما جاء في خطبة القاضي عياض (477هـ - 543هـ) ، الدينية لأحسن تمثيل عما جاء به القول السابق ، وذلك حين قال:"**الحمد لله الذي سبق كل شيء قدما ، ووسع كل شيء رحمة وعلما ونعما ، وهدى أوليائه طريقا نهجا أمما ، وأنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له موجا ، قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ، ويبشر المؤمنين الذي يعملون الصالحات أن لهم من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ، ما كثير فيه أبدا**"[338] ، ليلمس فما جاء في الخطبة تداخلا مركبا مع قوله تعالى:"**الحَمْدُ للَه الَذي أَنْزَلَ عَلَى عَبْده الكتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ عوَجًا ، قَيِّمًا ليُنْذرَ بَأْسًا شَديدًا من لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ المُؤمنينَ الذينَ يَعْمَلُونَ الصَّالحَات أَنَّ لَهُمُ أَجْرًا حَسَنًا ،مَاكثينَ فيه أَبَدًا** "[339]، فكان ما سبق أمثلة عن التناصات التي جرت في النثر الصنهاجي والتي جاءت مع القرآن الكريم فحسب أما ما يلي فإيراد لأمثلة ما (ضمن خطبته أية من القرآن)

جاء من تناصرات في الشعر الصنهاجي ، ومن ذلك نجد:

***قول ابن شرف(460هـ)راثيا:**

حين عادت به الديار قبورا [340] بل أقول الديار منهن أخلى

تناص مع أبي تمام حين قال :

وما الفقرُرُ بالبيداء القواء بل التي نبت بي وفيها سَاكِنُوهَا هي القفر [341]

*وقول ابن شرف (460هـ) في القصيدة ذاتها راثيا:

ثم لا شمعةً سوى أنجم تخـ [342] طو على أفقها ناعس كسلى

تناص مع أبي هانئ الأندلسي في قوله :

وبات لنا ساقٍ يقوم على الدجى بشمعة نجم لا تُقَطُّ ولا تطفئ [343]

*وقول ابن أبي مليح الطبيب : (405هـ)

فلما قضى حق الصلاة معظما[344] ثنى و الهدى في وجهه يَتَوَسَّمُ

---

[337]:جماليات الآداء الفني ،محمد أبو الشوارب ومحمود المصري،62.ص

[338] :الإحاطة، لسان الدين ، ج 4،ص 193.

[339] :سورة الكهف، الآية: 1-2-3.

[340] :الذخيرة، ابن بسام:ج 7و 8، ص 158.

[341] :ديوان أبي تمام ،ت.محي الدين صبحي ،مج 2،دار صادر ، بيروت،ط 1، 1997-ص 477.

[342] : الذخيرة، ابن بسام، ج 7و 8، ص 158.

[343] : ديوان ابن هانئ، دار صادر، بيروت، البيت 2، ص 207.

[344] :الخريدة ، الأصفهاني،ج 1،ص 184.

تناص مع قول البحتري:

حتى انتهيت إلى المُصَلَّى لابسا   نور الهدى يبدو عليك ويَظْهَرُ [345]

أما فيها اختص بالتناصات الشعرية القرآنية ،فقد أبان د. مصطفى أبو الشوارب العلاقة بينهما حين قال:" إن النص الشعري يسعى من خلال تداخله الصوغي على النص القرآني إلى توسيع مجاله الدلالي متجاوزا حدود تشكيل اللغة إلى تشكيل معتمد على العلاقة الوثقى التي تربط تأثير المدلول وإبهاره في النص القرآني، وبصياغة أسلوبه ومن ثم يمكن أن يتمتع النص بمحاذاة تأثير رؤية الخطاب الديني ، إذا نجح في محاذاة التشكيل اللغوي للنص القرآني وإن كان ذلك لا يعني على الإطلاق أن النص الشعري يهدف إلى معارضة النص القرآني ، فهو يسعى فحسب إلى إبراز إحالة ما تربط بين العالمين اللذين توفدهما بنية التداخل ، عالم النص و عالم الخطاب الشرعي ، بصورة توفر للنص الشعري توتره الفاعل و قدرته التأثيرية على المتلقي"[346]،

و هذا تحديدا ما تجسد في المنفرجة لصاحبها ابن النحوي (433هـ- 513هـ)، و التي جاءت ملئ بالتناصات و الحوارات القرآنية ، و من ذلك قوله :

اشتدي أزمة تنفرجي   قد آذن ليلك بالبلج

تلميح لقوله تعالى : " **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** "[347] .

و قوله تعالى : " **وَ مِنَ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَ لِيُذِيقَكُم مِنْ رَّحْمَتِهِ وَ لِتَجْرِي الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ، وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَ لَعَلَّكُم تَشْكُرُونَ** "[348]

و قول ابن النحوي (433هـ- 513هـ) :

و فوائد مولانا جمل   لسروج الأنفس بالمهج[349]

تلميح لقوله تعالى : " **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** "[350]، و قولــه تعالى:" **وَ آتَاكُم مِن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا ، إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**"[351]، وغيرها من التناصات و التلميحات القرآنية التي وجدت بهذه القصيدة ، مما أعطاها مكانة رائقة ليس وسط الإبداع المغربي

---

345 :ديوان البحتري ، مج 1 ، ط 1، 1997م، دار صادر ، بيروت ، ص 24.

346 : جماليات الأداء الفني ، محمد أبو الشوارب و محمود المصري ، ص 66.

347 : سورة الانشراح ، الآية 4 – 5 .

348 : سورة الروم ، الآية 46.

349 : عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 272 – 178.

350 : سورة النحل ، الآية 18.

351 : سورة إبراهيم ، الآية 34.

فحسب بل بين سائر الإبداعات العربية الأخرى،وبوأها مقعدا مميزا ، فجاء بها صاحبها بأسلوب ميزها عن باقي الأعمال الأدبية الصنهاجية الأخرى، و حملها من الأساليب البديعية و الصور البيانية ، دونما إخلال لمرامها

و مقصدها الأول و هو التوجيه و النصح و الإرشاد .

و خلاصة لما جاء في : اللغة، الإيقاع والصورة الشعرية ، فهي خصائص كونت ما يسمى بعمود الشعر ، و هذا ما جاء به إحسان عباس حين قال : " و قد كان عمود الشعر في أكثر حدوده يعتمد على فكرة الاعتدال و الصحة و السلامة و على تحديد الشكل الجميل في الشعر، و يتلخص عمود الشعر في شرف المعنى و صحته و جزالة اللفظ واستقامته،والإصابة في الوصف ، و المقاربة في التشبيه ، و التحام أجزاء النظم و التئامها على تخير من لذيذ الوزن و مناسبة المستعار منه للمستعار له ، و مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية "[352] .

و من منطلق هذه الرؤية لاحسان عباس ، فإن الأدب الصنهاجي تحقق فيه كل ما سبق ذكره،لنقول أنه بحق امتلك القيم الجمالية وحوى عليها ، بدرجات تفاوتت وتفاوت الأدباء المنتقية أسماؤهم فيما سلف تخيره من إبداعاتهم الشعرية و النثرية ، هذا كله انطلاقا مما كان متداولا آنذاك .

كما أنا نخلص بعد مد و جزر مع أدب هذه الفترة أنه أدب عبر عن بيئته الثقافية،الاجتماعية،السياسية بأسلوب فني مستمد من البيئة ليعبر به الفنان عن مضمون نصه،واقعيا، إيحائيا وإشارة .

---

[352] : فن الشعر ،إحسان عباس ، الجامعة الأمريكية ، بيروت – لبنان ، دار صادر ،عمان ، دار الشروق ، ط 1، 1996م ، ص 43.

الخاتمة

بعد معايشة للأدب الصنهاجي موضوعات و أنماط و قيم جمالية ، خلصت في نهاية المطاف إلى جملة من النتائج ، تمثلت في :

– عروبة القبيلة الصنهاجية ، و دليل ذلك ما جاء من مدح لسلالتهم المضرية في بعض إبداعاتهم الشعرية .

– الطابع الثقافي التي حملته الهجمات الهلالية من انتشار لغة الضاد ، و مضريتها للسان القبائل البربرية .

– تداول أدباء الفترة الصنهاجية للفنون الأدبية نفسها التي كانت متداولة أيضا في الضفة المشرقية ، فلاقينا نثرا : الخطب و الرسائل و المقامات و الوصايا و حتى الحكم ، و شعرا ألفينا كل ما كان متداولا آنذاك من أغراض شعرية و التي منها : المدح ، الغزل، الرثاء ، الهجاء ... و هلم جرا .

– غلبت الرسائل الديوانية على اللون النثري في الأدب الصنهاجي ، و دليله ما وجد في الكتب الترجمية الخاصة بالفترة المدروسة لنصوص هذه الرسائل ، لكل ما عرف من أملاك صنهاجية ، إلا الزيري الشرقي منه ، كان مكتفيا فقط ، بذكر أصحابها تعريضا، دون المجيء بنص و لا حتى مقتطفا منها .

– كما لوحظ كثرة تداول الغزل في الشعر و الرسائل الاخوانية في النثر ، و أخذهما الحيز الأكبر بين ما تبقى من آداب صنهاجية ، و سبب هذا التناول الكمي لها ، أن هذان الفنان الأدبيان خصوصا ليسا موجهان للخارج و لقلوب المتلقين ، بقدر ما هما يعدان الجزء الذاتي في القصيدة و الرسالة .

– مجيء البناء التشكيلي لهذا الأدب من لغة و صورة شعرية و إيقاع ، على الشاكلة نفسها التي عرفتها أختها في الضفة المشرقية و عدم تجسيدنا لأي جديد يذكر لهم والمتعلق بهذه الجزئية.

– عدم اهتمامهم للجانب التنميقي و المتعلق باللفظ خاصة في أعمالهم الأدبية ، إلا ما جاء عابرا منه دون قصد .

– و أهم ما خلص إليه البحث من نتيجة جوهرية ، عكست بحق ما حواه هذا البحث من قيم جمالية راقية ، عكستها رمزية الإستعمال للعناصر الطبيعية في إبداعاتهم النثرية منها والشعرية،حيث شكلت لنا هذه الرموز انتمائها لزمرتين ، ضمت الأولى : عناصر طبيعية (الريح ، الليل ، الظلماء) ، عكست لنا الجو المشحون الذي عيش إبان الفترة الصنهاجية ، ولا سيما ما تعلق بالحياة السياسية ، و التي شهدت من حروب و غارات و تناحرات خارجية و داخلية ما من شأنه تعكير صفاء الحياة و تكدرها ، أما الزمرة الثانية : عكست لنا ما كان يتخلل هذا الجو من فترات هدوء و سكينة و ذلك لما عرفته المنطقة من تصالحات و انتصارات على العدو ، و من تشييد و عمران ، ليكون الحجر السياسي والرقابة والتضييق وراء هذه الرمزية التي حملنا لنا هذا الأدب ، و التي عكسته لنا رسالة ابن الربيب وما فيها من إيماءات لهذه اليد الباطشة و المتحكمة في تسيير أمور البلاد و بذلك ، عكس لنا هذا التناول لأدب الفترة

الصنهاجية عمقيته وجوهريته ، فَخَوَّلَتْهُ هذه الرمزية أن يأخذ المكانة التي يستحقها بين ما عرف من أدب مشرقي و مغربي ، و أن يكون بحق الأدب الخالد لما حمله لنا من رسائل إنسانية مكنتنا خصوبة تناوله لإدراكها.

فهرس المصادر و المراجع

- القرآن الكريم (برواية حفص)

1 – الإحاطة في أخبار غرناطة ،لسان الدين بن الخطيب ، ت – يوسف الطويل ، مج 4،دار الكتب العلميّة ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 2002م ، 1424هـ.

2 – الأدب الجزائري القديم ، عبد الملك مرتاض ، دار هومة للطباعة و النشر ، د .ط ، 2005م .

3 – الأدب في عصر دولة بني حماد ، محمد أبو رزاق ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ، د .ط ، د .ت .
4 – الأدب و فنونه، عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ط 8 ، د.ت
5 – الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، أبو العباس السلاوي ، ت – محمد عثمان ، مج 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 2007م -1428ه.
6 – الأسس الجمالية في النقد العربي ، عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2000م - 4121ه .
7 – أسماء القبائل و أنسابها ، عز الدين القز ويني ، ت – كامل سلمان الجبوري ، منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 2000م - 1420ه.
8 – انباه الرواة على أنباء النحاة ، جمال الدين القفطي ، ت – أبو الفضل إبراهيم ، ج 2، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .، ط 1 ، 1406ه-1996م.
9 – أنموذج الزمان في شعراء القيروان ، ابن رشيق القيرواني ، ت – العروسي المطوي و بشير بكوش ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986م - 1406ه.
10 – البديع في البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ ، ت – علي مهنا ، دار الثقافة العلمية، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1407ه- 1987م.
11 – البيان المُغْرِبْ في أخبار الأندلس و المغرب ، ابن عذارى المراكشي ، ت – إحسان عباس ، ج 4 ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ، ط 2 ، 1980م - 1400ه.
12 - البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، ابن عذارى المراكشي ، كلان بروفسال، ج 1 ، دار الثقافة ، بيروت ، ط 1 ، 1983م .
13 -البيان و التبيين ، أبو عثمان الجاحظ ، ت – عبد السلام هارون ، ج 1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 7 ،1418ه - 1997م.
14 - التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ، عبد الله بن بلكين الصنهاجي، ت - علي عمر ، مكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، ط 1 ، 1427ه- 2006م .
15 - تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، ج 1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، 1425ه- 2005م.

16 - تاريخ الأدب الجزائري ، محمد طمار ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية، الجزائر ، د .ط ، د . ت.
17 – تاريخ إفريقيا ، الرقيق القيرواني ، ت – علي زيدان و عمر موسى ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، 1990م.
18- تاريخ الجزائر العام ، عبد الرحمن الجيلالي ، ج 1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ،ط 7 ، 1415ه - 1994م.
19 - تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ، مبارك الميلي ، ج 2 ، مكتبة النهضة الجزائرية ، د.ط ، الجزائر ، د . ت .
20- تاريخ الشعر العربي ،محمد عبد العزيز الكفراوي ، ج 3 ، دار النهضة للطبع والنشر،ط 1 ، 1967 .
21-تاريخ المغرب العربي ، سعد زغلول عبد الحميد ، ج 3 ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، د .ط ، د .ت .
22 - تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، أنيس مقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ط 1 ، 1968م .
23 -جماليات الأداء الفني ، محمد مصطفى أبو الشوارب و محمود المصري ،دار الوفا،ط 1، 2006م .
24 - جماليات الفن في الإطار الأخلاقي و الاجتماعي ، رمضان الصباغ ، دار الوفا ، الإسكندرية ، ط 1 ، 2003م .
25 - جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب ،السيد أحمد الهاشمي ، ج 1 ، د .ط ، د .ت ، دار الجيل .
26 - الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي ، بشير خلدون ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، د .ط ، د .ت ، الجزائر .
27 - الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، الوزير السراج ، ت - محمد الحبيب الهيلة ، ج 1 ،القسم 4 ، د .ط ، الدار التونسية للنشر ، 1970م.
28 - خريدة القصر و جريدة العصر ، العماد الأصفهاني ، ت - المرزوقي و المطوي ، ج 1، قسم شعراء المغرب ، ت - أذرتاش أذرنوش ، ج 2 ، الدار التونسية للنشر ، د .ط ، 1971م .
29 - دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي ؟، عبد الملك مرتاض ، د .ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د - ت .

30 –دولة بني زيري ملوك غرناطة ، اسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1982م .
31- ديوان ابن رشيق القيرواني ، محي الدين ديب ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ،
ط 1 ، 1418 ه – 1998م.
32 - ديوان ابن هانئ الأندلسي ، د .ط ، د .ت ، دار صادر، بيروت .
33 - ديوان أبي تمام ،ت – محي الدين صبحي ،مج 1 ، ط 1 ، بيروت ، دار صادر،1997م.
34 - ديوان أبي نواس ،ط 1 ، بيروت ، دار صادر ، 2002م.
35 - ديوان البحتري ، مج 1 ، د .ط ، د .ت ، دار صادر ، بيروت ، .
36 - دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، موسى لقبال ، سلسلة الدراسات الكبرى ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، د. ط ، د . ت ، الجزائر .
37 - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام الشنتريني ، ت إحسان عباس ،ج 8.7 ، القسم 4 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، 2000م.
38 - زهر الآداب و ثمر الألباب ، الحصري القيرواني ، ت – زكي مبارك ، مج 1 ، د.ط، د . ت ، بيروت – لبنان ، دار الجيل .
39- الشعر و الشعراء ، ابن قتيبة ، ت – عمر الطباع ، شركة الأرقم بن الأرقم للطباعة والنشر ، ط 1 ، بيروت – لبنان ، 1418ه – 1997م.
40- صبح الأعشى في كتابة الإنشا ، القلقشندي ، ج 1 ، د .ط ، القاهرة ، المطبعة الأميرية، 1313ه – 1912م.
41- العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، عبد الرحمن بن خلدون ، ج 7 ، مج 4 ، القسم 1 ، د.ط ، د .ت .
42 - العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، ابن رشيق القيرواني ، ت – عبد القادر عطـــا ،
1ج – ج 2 ، ط 1 ، بيروت – لبنان ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية،1422 ه -2001م.
43 - عنوان الدراية فيمن عرف من علماء في المائة السابعة ببجاية ، أبو العباس الغبريني ، ت – رابح بونار ، ط 2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،1981م .
44 - عيار الشعر ، ابن طباطبا ، ت – محمد زغلول سلام ، د. ط ، د .ت ، منشأة المعارف ، الإسكندرية .

45 – فن الشعر ، إحسان عباس ، ط 1 ، الجامعة الأمريكية ، دار صادر ، بيروت – لبنان، دار الشروق ، عمان ، 1996م.
46 – الفن و مذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف ، ط 8 ، د .ت ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف ، مصر.
47 – الفن و مذاهبه في النثر العربي ، شوقي ضيف ، د .ط ، د .ت ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف ، مصر .
48 – القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين ، مصطفى أبو ضيف ، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982م .
49- قصص العرب ، إبراهيم ، شمس الدين ، ج 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان، ط 1 ، 1423هـ – 2002م .
50- قضايا الإبداع الفني ، محمد مصطفى أبو الشوارب و محمود المصري ، ط 1 ، دار الوفا، 2005م.
51- الكامل في التاريخ ، ابن الأثير مج 10 ، دار صادر ، بيروت ، د .ط ، 1399هـ – 1979م
52- محاضرات في موسيقى الشعر ، زبير دراقي و عبد اللطيف شريفي ، د .ط ، د .ت ، ديوان المطبوعات الجامعية .
53 – مدخل إلى علم الجمال ، هيغل ، ت – جورج الطرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط 1 ، 1978م ، ط 2 ، 1988م .
54-مشاهير رجال المغرب ، عبد الله كنون ، د .ط ، د .ت ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت.
55 – معجم أعلام الجزائر ، عادل نويهض ، ط 2 ، بيروت – لبنان ، 1403 هـ – 1983م. هـ
56 – المغرب العربي ، رابح بونار ، د .ط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1968م.
57 – المقدمة ، ابن خلدون ، ج 1 ، د . ط ، د .ت ، دار الجيل ، بيروت .
58 – الممتع في صنعة الشعر ، عبد الكريم النهشلي ، ت – زغلول عبد السلام ، د .ط ، د. ت ، منشأة المعارف ، الإسكندرية .
59- النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب ، عبد الحليم هروط ، ط 1 ، دار جرير للنشر و التوزيع ، عمان – الأردن ، 1426هـ – 2006م.
60- نظرية النقد العربي و تطورها ، محي الدين صبحي ، د .ط ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا، تونس ، 1984م .

61- نفح الطيب ، المقري التلمساني ، ت - مريم قاسم الطويل و يوسف علي الطويل ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 1415 ه -1995م .
62 – وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، ت – إحسان عباس ، مج 1 ، د .ط ، د. ت ، دار صادر ، بيروت – لبنان

فهرس الموضوعات